خطيب عرفة

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ (رحمه الله تعالى)

دروس ومواقف وعبر

تأليف

تلميذه/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

خطيب عرفة

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

(رحمه الله تعالى)

دروس ومواقف وعبر

خطيب عرفة

المفتي العام للمملكة العربية السعودية
سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ
(رحمه الله تعالى)
دروس ومواقف وعبر

تأليف

تلميذه/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

١١	مقدمة
١٧	نسبه
١٧	مولده
١٧	والدة سماحة الشيخ
٢١	بره بوالدته
٢٤	كلمات أثّرت في علماء
٢٥	شاب نشأ في طاعة الله
٢٦	قلبٌ معلّقٌ بالمساجد
٢٧	اجتهاده في العبادة
٢٨	عنايته بالقرآن الكريم
٣٠	سماحة الشيخ وقيام الليل
٣٢	توقير سماحته لأئمة العلم المتقدمين ومحبته لهم والبرِّ بهم
٣٣	توقير سماحته لمشايخه وحفظ مكانتهم
٣٧	تفخيمه لزملائه في طلب العلم وحفظ معروفهم
٣٨	محبته لطلاب العلم وتشجيعهم والثناء عليهم
٣٩	محبته ووفاؤه لأصحابه
٤٥	وفاؤه لأصحابه بعد موتهم
٤٦	فرحه وسروره بسماع كتب العلم والمبادرة بشكر مؤلفيها والثناء عليهم بالعلم
٤٦	تلذُّذه بالعلم
٤٧	سماحة الشيخ (مُدلّل الكتاب)
٥٠	سماحة الشيخ مع المساكين

٥٢	سلامة قلبه على المسلمين
٥٣	مشاركته لأفراد المجتمع آمالهم وآلامهم
٥٧	عنايته وحرصه على طلابه
٥٩	تواضعه -رحمه الله تعالى-
٦٤	مروؤة سماحته في حفظ المعروف لأهله
٦٦	عزو الفضل لأهله
٦٦	تميزه وتمكُّنه من سرعة استحضار الشواهد من القرآن الكريم
٦٧	خطيب عرفة
٦٨	مما حصل له من النوادر
٦٩	سماحةُ سماحتِه
٧١	سهولة كلامه وعدم تكلفه في مفردات كلامه
٧٣	محبته من رؤيته والأُنسُ به عند محادثته أو سماع حديثه
٧٤	إتقانه لعمله وحرصه عليه
٧٦	حرصه على تطبيق السنّة
٧٦	من تورُّعه واحتياطه
٧٨	من فطنته ونباهته
٧٨	من قوة ذاكرته -رحمه الله تعالى-
٧٨	مزاحه ودعابته
٨١	محبة سماحته للصغار ومحبتهم له
٨٢	سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وتلميذه عبدالعزيز ابن محمد السدحان
٨٧	مع المحبرة إلى المقبرة
٨٩	جنازته -رحمه الله تعالى-

٨٩	عمره عند وفاته -رحمه الله تعالى-
٩٠	أسرة سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى-
٩٢	قرائن ودلائل من عاجل بشرى سماحته في حياته -رحمه الله تعالى-
٩٤	من عاجل بشرى سماحته بعد وفاته
٩٥	ومما يذكر
٩٥	ذهاب شخصه وبقاء وصفه
٩٥	من صفات سماحة الشيخ عبدالعزيز في منهجه العلمي والدعوي
٩٦	مما قيل من الرثاء في سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى-
١٠٥	وصية مُفَرِّطٍ لكم يا طلبة العلم لئلاً تفرِّطوا
١٠٧	خـاتمة

مقدمة

الحمدُ لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكَلِم، ورضي الله تعالى عن صحبه أولي النُّهَى والفهم، وبعدُ:

فيختلف الناس في علوِّ مراتبهم وشريف منازلهم، بحسب ما يتَّصفون به من الصفات الحميدة والمناقب الرفيعة، وقد يشترك كثيرٌ من الناس في صفاتٍ ومناقبَ متقاربةٍ تتفق نوعًا وعددًا، إلَّا أنَّ قليلًا من الناس قد يصلون إلى منزلة يتميَّزون بها عن غيرهم، وقد يجمعُ الله تعالى لأولئك كثيرًا من صفات الخير والفضل، تلك الصفات التي تكون واحدةٌ منها شامةَ خيرٍ في جبين صاحبها، فكيف باثنتين؟ فكيف بأكثر من ذلك؟ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]. وميزان التفاضل في الدنيا بحسب ما يظهر عليهم من ثمار العلم وآثاره من النفع القاصر والمتعدي، ناهيك عن قبول الناس ومحبَّتهم وتوقيرهم لأولئك والتأثُّر بسمتهم وأخلاقهم ونُصحهم وإرشادهم، وأما ميزان التفاضل في الآخرة فآية الحجُرات من أوضح الواضحات: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ومثل أولئك الأكارم الأماجد تتوق النفوس إلى معرفة سيرهم ويدفعها فضولٌ محمودٌ إلى تتبُّع أخبارهم وأحوالهم جملةً وتفصيلاً.

بعد هذا يقال: إنَّ من أوضح السبُل لمعرفة تلك الخصال والصفات والمناقب التي يتمايز بها الناسُ عامَّة وأهل العلم خاصَّة النظرَ في تراجمهم وأخبارهم؛ ذلك أنَّ التراجم ألسنةٌ ناطقةٌ وشهادات ناصعة في دواوين التاريخ، ولذا عُني بذلك جمعٌ من أهل العلم فصنَّفوا بل تنوّعوا في كتابة التراجم زماناً ومكاناً ومذهباً وعلماً وغير ذلك ممَّا ستأتي الإشارة إليه والأمثلة عليه.

وقد بين أولئك المصنِّفون في صدور كتبهم أهميةَ هذا العلم، وذكروا شيئاً من أسباب ذلك، ومن شواهد ذلك

ما ذكره الإمامُ الحافظ بن حجر -رحمه الله تعالى- في كتابه «توالي التأسيس بمعالي محمد بن إدريس» -يعني الإمام الشافعي رحمه الله تعالى- حيث قال في مقدمته : (الحمدُ لله الذي جعل نجوم السماء هدايةً للحيارى في البرِّ والبحر من الظلماء، وجعل نجومَ الأرض-وهم العلماء- هدايةً من ظلمات الجهل والعَمَاء، وفضَّل بعضهم على بعض في الفهم والذكاء، كما فضَّل بعض النجوم على بعض في الزينة والضياء).

وقال ياقوت الحموي في مطلع كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» المعروف بـ«معجم الأدباء»: (فهذه أخبارُ قوم عنهم أُخِذَ علم القرآن المجيد والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمرُ السلطان والوزارة، وبعلمهم يتمُّ الإسلام، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام).

وقال الغبريني في مقدمة كتابه «عنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية»: (وذلك بحيث يعلم طالبُ العلمِ الأئمةَ الذين بهم يقتدي، وبسلوك سننهم السويِّ يقتدي).

وقال بن خلكان في مقدمة كتابه وفيات الأعيان: ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم أو كانوا في زمن ولم أرهم ليطّلع على حالهم من يأتي بعدي.

❁ من ثمار وآثار التراجم للأئمة:

بعد هذا يقال: إن في معرفة أخلاق العلماء والنظر في سير هم ثماراً وآثاراً عظيمة وفوائد جليلة فمن ذلك:

١- امتثالاً لحديث النبي ﷺ: [ليس منا....ومن لم يعرف لعالمنا حقه]. وأحسب أن التراجم من أعظم معرفة حقوق العلماء لما يترتب عليها من الآثار النافعة للعالم بعد مماته.
٢- دخول التراجم في قوله ﷺ: [اذكروا محاسن موتاكم].
٣- مكسب كبير وتجارة رابحة لطالب العلم فإذا قرأ طالب العلم تراجم أولئك الأئمة الإعلام ازداد بصيرة وتنورّاً في سلوك طريقه وفي المقابل يعلم مكامن النقص في ذاته وسيرته.
٤- معرفة اللاحقين بأحوال السابقين وأخبارهم. وممَّا يحسُن ذِكره هنا ما قاله ابنُ خَلِّكان في أول كتابه «وفيات الأعيان» قال -رحمه الله تعالى-: (ذكرتُ جماعةً من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهُم ليطَّلع على حالهم من يأتي بعدي).
٥- استمرار بل توسّع دائرة الدعاء للمترجَم له.
٦- ترجمةُ التلميذ لشيخه من باب البرِّ به بل لعله من أعظم أنواع البرِّ به.
٧- تأثُّر القرَّاء وبخاصَّة قرابة المترجَم له وطلابه ومعارفه ومحبيه وغيرهم عند ذِكر شيءٍ من أخلاقه وبعض مواقفه.
٨- تزيد القارئ تبصُّرَةً وفهمًا في حياته من خلال النظر في أحوال أصحاب تلك التراجم، وكيف كانوا في معترك حياتهم.
٩- الإنتظام في مسلك التصنيف في التراجم. ذلك أنَّ معرفة سير العلماء والحرص على تدوين أخبارهم ورحلاتهم وجهودهم سنة ماضية عند أهل العلم المتقدمين والمتأخرين يشهد لهذا ويؤكِّده عشرات بل مئات الكتب المتضمنة لآلاف التراجم.
١٠- تزيد الهمَّة وتقوِّي العزيمة وتبعث النشاط في النفس، وممَّا يحسُن ذِكره هنا ما قاله سماحةُ الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- عندما أفرد محاضرةً

عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-، فقال في مطلعها: (لمَّا كان الحديث عن المصلحين والدعاة والمجدِّدين والتذكير بأحوالهم وخصالهم الحميدة وأعمالهم المجيدة وشرح سيرتهم التي دلَّت على إخلاصهم وعلى صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم، لمَّا كان الحديث عن هؤلاء المصلحين المشار إليهم وعن أخلاقهم وأعمالهم وسيرتهم ممَّا تشتاق إليه النفوس وترتاح له القلوب ويودُّ سماعَه كلُّ غيور على الدِّين وكُلُّ راغب في الإصلاح والدعوة إلى سبيل الحق) إلى أن قال -رحمه الله تعالى-: (رأيتُ أن أتحدَّث إليكم عن رجل عظيم ومُصلح كبير وداعية غيور) انتهى الشاهد من كلامه -رحمه الله تعالى-.

❁ من تنوع التصنيف في التراجم:

وقد تفنَّن أهل العلم رحمهم الله تعالى في تصنيفهم لكتب التراجم فمنهم من أفرد ترجمة مستقلة عن إمام معين مثل الإمام الموفق ابن أحمد المكي أفرد ترجمة مستقلة في مناقب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- وفعل مثله الكردي فكتب في مناقب الإمام أبي حنيفة وكذلك الصيمري له كتاب في أخبار أبي حنيفة وأصحابه، وهذا الأمام الزواوي أفرد مصنفاً مستقلاً في ترجمة الإمام مالك -رحمه الله تعالى-، وأفرد الأئمة ابن أبي حاتم الرازي والبيهقي وابن كثير وابن حجر مصنفات مستقلة في ترجمة الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-. وألّف الإمام ابن الجوزي مصنفاً مستقلاً في مناقب الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-.

ونحى بعض أهل العلم منحىً آخر فأفرد كتباً مستقلة في ترجمة طبقة معينة يشتركون في عصر أو قطر أو علم أو مذهب، فهناك من أفرد بعض اتباع المذاهب الفقهية بمصنف مستقل مثل «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» لأبي الحسنات اللكنوي، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» لتقي الدين بن عبدالقادر الدارمي و«الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية» للقرشي وترتيب

المدارك و«تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي و«طبقات الشافعية» لابن هداية الحسيني، و«طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى و«الذيل على طبقات الحنابلة» للإمام ابن رجب، و«ذيل ابن هادي على طبقات ابن رجب».

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفن التخصص «طبقات المفسرين» وقد صنف فيها الداوودي والسيوطي و«طبقات المحدثين» مثل طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها لأبي الشيخ الأصبهاني و«طبقات الحفاظ» وقد صنف فيها الإمام الذهبي كتاباً سماه «تذكرة الحفاظ» و«طبقات القراء» وقد صنف فيها الإمام الذهبي أيضاً كتاباً سماه «معرفة القراءة الكبار» و«طبقات النحاة» وصنّف فيها السيوطي كتابه «بغية الوعاة» و«طبقات الأطباء» وصنف فيها ابن أبي أصيبعة وهلمَّ جرًّا من تلك المصنفات المتنوعة.

وأما التصنيف في علماء أو تاريخ قُطْرٍ معين فكثير مشهور ومن ذلك «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر و«تاريخ أو أخبار أصفهان» للحافظ الأصبهاني وتاريخ حلب واسمه «بغية الطلب في تاريخ حلب» و«تاريخ إربل» لابن المستوفي وهناك من أفرد تصنيف التراجم على حسب العصر ومثال ذلك «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» للحافظ ابن حجر، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني إلى غير ذلك من أنواع التراجم.

❁ تراجم التلاميذ لأشياخهم:

وأنا في كتابي[1] هذا أترجم لشيخي سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل

(١) أصل هذا الكتاب محاضرة ألقيت في الرياض في جامع الملك خالد -رحمه الله تعالى- في حي أم الحمام بعد صلاة عصر يوم الأربعاء ٨/ ٤/ ١٤٤٧هـ، ومن باب رد الفضل بعد الله تعالى إلى أهله فقد كان السبب في إلقاء تلك المحاضرة حثُّ ثلاثة من الأكارم الأفاضل، الأول/ أخي=

الشيخ جعل الله تعالى الفردوس الأعلى مثواه.

وترجمة التلميذ لشيخه سُنَّة معروفة بل مألوفة عند أهل العلم وأسوق بعض الشواهد في هذا الباب:

١- «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام بن تيمية» لتلميذه ابن عبدالهادي.
٢- «الدُرَّة اليتيميّة في سيرة بن تيميّة» لتلميذه الذهبي.
٣- «الأعلام العليّة في مناقب بن تيميّة» لتلميذه البزّار.
٤- «الجواهر والدُرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» لتلميذه السخاوي.

وفي ختام هذه المقدمة أقول هذا كتاب يجمع أخباراً موجزة عن خطيب عرفة سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ -رحمه الله تعالى- وأحسب أن هذا من باب البرِّ به وردِّ شيء من الجميل تجاه ما قدمه للإسلام والمسلمين.

=عبدالرحمن بن محمد السدحان (أبو ماجد). الثاني/ الأخ الكريم عبدالحميد بن محمد الدخيل (أبو طارق). الثالث/ الشيخ سعد بن محمد المبارك إمام وخطيب جامع الحسن بن علي -رضي الله تعالى عنهما-.

نسبه

نسبه: عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحم الله تعالى الجميع.

مولده

مولده: في ٣/ ١٢/ ١٣٦٢هـ في مكة شرّفها الله تعالى.

والدة سماحة الشيخ

أذكر في هذا المقام ست أمهات بينهن قواسم مشتركة وقد كان لصلاحهن وصدقهن ونصحهن ودعائهن بعد فضل الله تعالى أثر بالغ لا على أولادهم فحسب بل على أهل بلادهم خصوصاً وعلى المسلمين عموماً. وهناك كثير من الأمهات سواهن لكني اكتفيت بتلك الأمهات الست:

- **الأولى (أم الإمام مالك)**: عالية بنت شريك الأزدية -رحمها الله تعالى-، قال عنها ابنها الإمام مالك -رحمه الله تعالى- كانت أمي تلبسني الثياب وتعممني وأنا صبي وتوجهني إلى ربيعة ابن أبي عبدالرحمن وتقول: يا بني ائت مجلس ربيعة فتعلَّم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه[1].
- **الثانية (أم الإمام الشافعي)**: فاطمة بنت عبدالله الأزدية، مات زوجها والد الشافعي وعمره سنتان، فتولت أمه -رحمها الله تعالى- تربيته، فذهبت به إلى مكة لوجود كثير من أهل العلم والتابعين، فكانت تلتمس له مكاناً في حلقات العلم. و قد ألزمته حفظ القرآن الكريم فحفظه وهو ابن سبع سنين، قال الشافعي كنت يتيماً في حجر أمي فدفعتني في الكُتَّاب ولم يكن

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢/ ٥.

عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن اخلفه إذا قام[١].

- **الثالثة (أم الإمام أحمد)**: صفية بنت عبدالملك الشيبانية، مات أبوه وهو طفل فتكفلت أمه بتربيته قال الإمام ليالي بغداد الباردة قبل صلاة الفجر أنا ابن عشر سنوات وكانت تتخمّر وتتغطّى بحجابها وتذهب معه إلى المسجد لأنه بعيد. فلما بلغت السادسة عشرة من عمري قالت لي أمي: اذهب في طلب الحديث فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلى الله الواحد الأحد قال فأعطتني متاع السفر عشرة أرغفة شعير ووضعت معها صرة ملح وقالت: يا بني إن الله إذا استودع شيئاً لا يضيعه أبداً فأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه[٢].
- **الرابعة (أم الإمام البخاري)**: مات أبوه وهو صغير فكفلته أمه وأحسنت تربيته وكانت تذهب به للمسجد وترسله للعلماء وحلقات العلم[٣].
- **الخامسة (أم محمد الأوقص)**: قال أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي: وكان محمد بن عبدالرحمن الأوقص، عنقه داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زجان، فقالت لي أمي وكانت عاقلة: يا بني لا تكون في قوم، إلا كنت المضحوك منه، المسخور به، فعليك بطلب العلم، فإنه يرفعك، قال -فنفعني الله بقولها فتعلمتُ الفقه فصرت قاضياً-، جاء في ترجمة ابن الأوقص أنه ولي قضاء مكة عشرين سنة، وكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم[٤].
- **السادسة (أم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ)**: هي المرأة الصالحة الطيبة المشفقة أم عبدالملك سارة بنت إبراهيم الجهيمي -رحمه الله

(١) آداب الشافعي ومناقبه للبيهقي، ص٣١.
(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي، ص٣١.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩٣.
(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ١/ ١٤١ رقم١٢٠.

تعالى-، كل ما تذكرتُ وسمعتُ اسمَ هذه المرأةِ الصالحة تذكرت بيت الرحبي في منظومته الفرضية، إذ يقول:

والوارثات من النســـاء ســـبع

لم يعـــط أنثى غيرهـــن الشرع

بنت وبنت ابـــن وأم مشـفقة

وزوجـــه وجـــدة ومعتقـــة

والأخت من أي الجهات كانت

فهـــذه عدتهـــن بانـــت

والشاهد قوله: (وأم مشفقة) هذه المرأة الصالحة المصلحة كانت حريصة على العناية بأولادها، وبما أنَّ الحديث عن سماحة الشيخ عبدالعزيز، يقال: كانت معنيَّة بسماحته في صغره، ومن عجائب أخبارها حرصها وعنايتها بسماحته.

عندما تولى سماحة الشيخ في شبابه إمامه مسجد الأمير ناصر بن عبدالعزيز في حارة الحماد كانت -رحمها الله تعالى- تذهب به للمسجد كل يوم وخاصة صلاة الفجر وتنتظر حتى تنقضي الصلاة ثم ترجع به للبيت.

عندما أجرى سماحة الشيخ العملية في عينه ولم يكتب له الشفاء حزنت حزناً شديداً وقالت للطبيب (طبيب سويسري زائر) الذي أجرى العملية إن كان يستطيع أن يأخذ إحدى عينيها ويزرعها لابنها عبدالعزيز . فقال لها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله تعالى-: هذا أمر قضاه الله وقدره فارضي عن الله نحن كلنا أكفاء، فقالت: يا شيخ محمد لو أعلم أن عيني تؤخذ لأمرت بأخذها.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- ذهبت للشيخ محمد

ابن سنان في يوم برد شديد فأدركتني الوالدة -رحمها الله- مسرعة ومعها ثوب صوف فألبستني إياه في الطريق.

ومن بالغ شفقتها أن سماحته عندما كان في السابعة من عمره تقريباً خرج مع أصحاب له إلى الجامع الكبير وصعد المنبر وبدأ يخطب فأنزله أحد قرابته وهو غاضب وجاء به إلى أمه وأخبرها بأنه كان يلعب فقالت تلك المرأة الصالحة: (أسأل الله العظيم أن يحييك حتى تصلي خلفه في الجامع الكبير) وقد حقق الله مرادها وأصبح ولدها إماماً وخطيباً للجامع الكبير.

ومما يحسن ويناسب ذكره هنا فيما يتعلّق بدعاء الأم لابنها في أمر العلم: ما ذكره الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمة سُليم بن أيوب ما نصه: (قال سهل بن بشر حدثنا سُليم أنه كان في صغره بالرَّي وله نحو من عشر سنين فحضر بعض الشيوخ وهو يُلَقِّن، فقال لي: تقدَّم فاقرأ، فجهدتُ أن أقرأ الفاتحة فلم أقدر على ذلك لانغلاق لساني، فقال لك والدة: قلت نعم، قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم، قلت: نعم فرجعت فسألتها الدعاء، فدعت لي،ثم إني كبرت ودخلت بغداد فقرأت بها العربية والفقه ثم عدت إلى الرَّي فبينا أنا في الجامع أُقابل (مختصر المزني) وإذا الشيخ قد حضر وسلَّم علينا وهو لا يعرفني، فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ماذا نقول، ثم قال: متى يُتَعَلَّم مثل هذا فأردتُ أن أقول: إن كانت لك والدة فقل لها تدعو لك فاستحييت)[1].

ومما يتعلّق بهذا المبحث أيضاً:

قول الإمام البخاري: كُنْتُ أَختلِفُ إِلَى الفُقَهَاءِ بِمَرْوَ وَأَنَا صَبِيٌّ، فَإِذَا جِئْتُ أَستحِي أَنْ أُسَلِّمَ عَلَيْهِم، فَقَالَ لِي مُؤَدِّبٌ مِنْ أَهلِهَا: كم كتبتَ اليَوْمَ؟

فَقلتُ: اثْنَيْنِ، وَأَرَدْتُ بِذَلِكَ حَدِيْثَيْنِ، فَضَحِكَ مَنْ حَضَرَ المَجْلِسَ.

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٥-٦٤٦.

فَقَالَ شَيْخٌ مِنْهُم: لاَ تضحكُوا، فَلَعَلَّهُ يَضْحَكُ مِنْكُم يَوْماً!![١].

وخاتمة القول فيما يتعلّق بوالدة سماحة الشيخ تلك المرأة الصالحة المصلحة أنَّ الله تعالى متعها وأقرَّ عينها وشرح صدرها برؤية ولدها عبدالعزيز يتبوأ المناصب الشرعية معلماً للطلاب في المعهد والكلية وخطيباً على منبر الجمعة ومنبر عرفة وعضواً في هيئة كبار العلماء ثم مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. الله تعالى أسأل أن يجمعهما في فردوسه الأعلى.

بره بوالدته

أعظم الناس براً بوالديهم، الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ومن ذلك: تَلَطّفُ الخليلِ عليه السلام في نداء أبيه، بل كرَّر نداء أبيه بأرقِّ ألفاظ البنوَّة في خطاب الأبوَّة:﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ...﴾، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ...﴾، ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ...﴾، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ...﴾[٢] عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي...﴾[٣] يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ...﴾[٤].

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان باراً بأعمامه (وعم الرجل صنو أبيه)[٥] ففي خطاب دعوته لعمه أبي طالب: [يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله][٦] وبرُّ العلماء بوالديهم مشهور معروف في كتب التراجم بل في برِّهم عجائب، فمن ذلك: أن أم أبي حنيفة كانت تأمر أبا حنيفة أن يسأل لها عمر بن ذر، قال أبو

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠١.
(٢) سورة مريم، آية٤٢-٤٥.
(٣) سورة مريم، آية ٣٢.
(٤) سورة مريم، آية ١٤.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) متفق عليه.

يوسف رأيت أبا حنيفة -رحمه الله تعالى- يحمل أمه على حمار إلى مجلس عمر بن ذر كراهية أن يرد على الأم أمرها[١] ومن عجائب برِّ الإمام أبي حنيفة بأمه، أنها حلفت يميناً فحنثت فاستفتت أبا حنيفة فافتاها فلم ترض وقالت لا أرض إلا بما يقول زرعة القاص فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال أفتيكِ ومعكِ فقيه الكوفة؟! فقال أبو حنيفة: أفتها بكذا وكذا فأفتاها فرضيت[٢] وقال محمد بن بشر الأسلمي: لم يكن أحد بالكوفة أبرَّ بأمه من منصور بن المعتمر وأبي حنيفة وكان منصور يفلي رأس أمه و يذوبها[٣] وكان حيوة بن شريح وهو أحد أئمة المسلمين يقعد في حلقته يُعلّم الناس فتقول له أمه قم يا حيوة فألق الشعير للدجاج فيقوم ويترك التعليم[٤] و سُئِلَ الإمام بن عساكر عن سبب تأخره عن المجيء إلى أصبهان، فقال: لم تأذن لي أمي[٥]، وكان مؤرق العجلي يفلي رأس أمه[٦]، وأما الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- فكان يخشى غضب أبيه وعقوقه في رحلاته لأهل العلم فذكر أخباراً في ذلك منها، قوله: (لما مات شيخنا الفاضلي قبل إكمالي القراءات، بقيت أتلهّف، فذُكِر لي أبو محمد المكين الأسمر وأنه باقٍ في الإسكندرية وأنه أعلى روايةً من الفاضلي فازددت تلهفاً وتحسّراً على لقيّه ولم يكن الوالد يمكِّنني من السفر)[٧]، وقال أيضاً في ترجمة عبدالرحمن بن عبداللطيف البغدادي وكنت أتحسَّرُ على الرحلة إليه وما أتجسَّرُ خوفاً من الوالد فإنه كان يمنعني[٨] وذكر الذهبيّ أيضاً أنه رحل إلى أحد الأئمة ومكث عنده مدة

(١) مناقب أبي حنيفة للمكي ١/ ٢٥٥.
(٢) مناقب أبي حنيفة.
(٣) مناقب أبي حنيفة ١/ ٢٥٥.
(٤) بر الوالدين للطرطوشي، ص٣٩.
(٥) تذكرة الحفاظ، ص١٣٣٣.
(٦) المعارف لابن قتيبة، ص٤٧٠.
(٧) معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٥١.
(٨) معرفة القرّآء الكبار ٢/ ٥٥٦.

فقال وكنت وعدت أبي وحلفت له إني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفتُ أعقه[١]، وأما الإمام أحمد فمن أمثلة برِّه بأمه، قول إبراهيم بن هاشم: لما قَدم جريرُ بن عبدالحميد -يعني بغداد- نَزل على بني المُسيّب، فلما عبر إلى الجانب الشرقي جاءَ المد، فقلت لأحمد بن حنبل: تعبُر؟ فقال: أُمي لا تدعني، فعبرت أَنا فلزمته[٢].

وبعد سياق هذه النصوص والأمثلة، يقال: لقد كان سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- على سَنَن العلماء السابقين في برِّه بأمه -وأما والده فقد توفي والشيخ في طفولته- وإليك صوراً من بِرِّه بها -رحمة الله تعالى عليهما-: (كان سماحته يحج بها، معه في كل سنة وفي شهر ذي القعدة أصيب بكسر في الورك مما دعاها لملازمة الفراش في المستشفى لعدة أشهر وإجراء عمليات جراحية وكانت خلالها حريصة على التعافي حتى تدرك الحج من العام الذي بعده ١٤٢٣هـ وحاول سماحة الشيخ إقناعها بعدم الحج مراعاة لظروفها فجلست وهي كارهة، فلما رجع سماحته من الحج ذهب إليها مباشرة وقبل يديها ورجليها في منظر مهيب ومؤثِّر وهو يطلب منها السماح والعفو. في آخر حياتها دخلت المستشفى ومكثت فيه نحو سنة وتسعة أشهر في غيبوبة كاملة وكانت تتمتم بالقرآن وكان سماحته يزورها كل يوم ويقبل يديها وإذا رجع من السفر اتجه من المطار إليها، توفيت -رحمها الله تعالى- في ٤/ ٦/ ١٤٣٦هـ عن مائة سنة وصلي عليها سماحة الشيخ ولدها رحمة الله تعالى عليه وعليها)[٣].

---

(١) معرفة القرّآء الكبار ٢/ ٥٥٨.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص٣٢.

(٣) ومن أراد الاستزاده من أخبار هذه المرأة الصالحة فلينظر في الكتاب الممتع (ملح العلم) لحفيدها د/ هشام بن عبدالملك آل الشيخ. وقد كتب الدكتور هشام وهو أحد طلاب الشيخ كتاباً سَمّاه: «ومضات من سيرة سماحة المفتي» أجاد فيه وأفاد في الكلام عن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ -رحمه الله تعالى-، وقد أستفدتُ منه و مما زاد الكتاب متانةً أنّ سماحة الشيخ=

كلمات أثّرت في علماء

جاء في ترجمة غير واحد من أهل العلم حوادث وكلمات في مقتبل عمرهم كانت بعد فضل الله وتوفيقه سبباً في شحذ عزائمهم في طلب العلم والتزود منه وأسوق أربعة أمثلة شواهد لهذا الأمر اثنان للمتقدمين واثنان للمتأخرين:

- **المثال الأول**: قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: (كنتُ عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، فأخذتُ في جَمع هذا الكتاب؛ يعني: كتاب الجامع)[١].
- **المثال الثاني**: قال الإمام الذَّهبي عن شيخه علَم الدين البرزالي: (وكان هو -أي: علم الدين البرزالي- الذي حبَّب إليَّ طلَبَ الحديث؛ فإنَّه رأى خطِّي فقال: خطك يشبه خطَّ المحدِّثين، فأثَّر قوله فيَّ، وسمعتُ وتخرجت به في أشياء)[٢].
- **المثال الثالث**: قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله تعالى-: قصة حدثت لي لا أزال متأثراً بها إلى اليوم حدثت أيام شبابي، فقد كنتُ من المحافظين على الصف الأول في الصلاة، وفي يوم من الأيام تأخرتُ عن الحضور مبكراً بسبب القراءة في بعض الكتب لبعض المسائل الهامة التي شغلتني عن الصلاة، فلم أدرك الصف الأول، وفاتني بعض الشيء من الصلاة، وحينما سلم الإمام، وهو قاضي الرياض صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وكان أحد مشايخي رحمه الله حينما رآني أصلي في طرف الصف، وقد فاتني شيء من الصلاة، تأثر لذلك كثيراً، فحمد الله

=عمّ الدكتور هشام، فرحم الله تعالى سماحة الشيخ وبارك في الدكتور هشام.

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٣٢٢.

(٢) الدرر الكامنة ٤/ ٢٧٨.

وأثنى عليه، ثم بدأ يتكلم وقال: بعض الناس يجلس في سواليف ومشاغل حتى تفوته الصلاة، يقول سماحته: فعرفت أنه يعنيني بذلك الكلام، فلم أتأخر بعدها أبداً[١].

- **المثال الرابع**: قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ -رحمه الله تعالى-: (جاء شهر رمضان وأنا إمام للمسجد الدوبية وهو أول رمضان لي في هذا المسجد فصليت بالجماعة صلاة التراويح أول يوم من الشهر الفضيل ولم أكن ضابطاً لقراءة القرآن ووقعت مني بعض الأخطاء اليسيرة فلما قضيت الصلاة جاءني أحد كبار السن من خلفي ومسكني مع إذني قرصها بشدة ولا أعلم من يكون وقال إذا لم تكن تحفظ القرآن فلا تتقدم للصلاة يقول الشيخ فخرجت من المسجد مهموماً حزيناً ومتألماً من قرصته في أذني ورجعت إلى البيت فأتت الوالدة وأخبرتها بالخبر وقلت لها: لن أرجع للمسجد ولن أصلي بالجماعة بعد الآن، فقالت: بل ستحضر وتؤم ولن تترك المسجد أبداً، وأنا أمك، يقول الشيخ: فأصبحتَ -رحمها الله- تذهب بي ضحى كل يوم للشيخ ابن سنان أراجع حفظي وتنتظر هي خارج المسجد حتى أخرج وتذهب بي إلى المسجد لإمامة المصلين في التراويح كل يوم حتى ختمت القرآن آخر الشهر ولا أذكر حينها أنني أخطأت في قراءتي بعدها أبداً، وكان الشيخ ﷺ يدعو لذلك الرجل الذي كان سببا في إتقانه للحفظ والضبط).

شاب نشأ في طاعة الله

جعل الله تعالى سماحته منهم. أرسل إليَّ الشيخ الدكتور محمد بن عبدالله العمار ما نصّه: قال الشيخ د. عبدالله بن موسى العمار: لما قدمت الرياض كنت أشتغل مع العم سليمان في دكانه في الشميسي، فكنا أحياناً نصلي في مسجد

(١) كتاب «إمام العصر»، ص٦٢، للدكتور/ ناصر الزهراني.

الشيخ محمد بن إبراهيم، وأحياناً نصلي مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ في مسجد دخنه، وكان مفروشاً بالبواري (القصب) ما كان فيه فرش غير هذا. وأذكر مرةً أني صليت معه المغرب في عام ١٣٨٨هـ، وكان الشيخ في عزِّ شبابه، وكان شعر لحيته مكتملاً العوارض مع اللحية، وكان في مقتبل العمر، وكان عمره في ذلك الوقت قريباً من ٢٥ إلى ٢٧سنة، وأذكر أيضاً أنه ألقى علينا كلمةً بعد صلاة المغرب، وتكلم عن حالة الجاهلية قبل الإسلام، ثم لما بعث الرسول ﷺ، وكيف تحولت الحال بعد بعثة المصطفى ﷺ، وأطال الكلام في هذا، يعني أشبه ما تكون بمحاضرة ودرس بعد صلاة المغرب، استغرقت نصف ساعة تقريباً، في هذا الموضوع، والله أعلم.

قلبٌ معلّقٌ بالمساجد

قال النبي ﷺ: [سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه ومنهم ... ورجل قلبه مُعَلَّق بالمساجد][1] الله تعالى أسأل أن يجعل سماحته مشمولاً بنعت المعلقة قلوبهم بالمساجد، فمما عُرِف بل واشتُهِرَ عن سماحته محافظته التامة على الإمامة وعدم التغيّب إلا نادراً، بل كان من حرصه -كما- بلغني أنه إذا أراد الذهاب للطائف يصلي الفجر في الجامع ثم يذهب صباح اليوم إلى الطائف وإذا أراد العودة من الطائف فإنه يعود بعد دوام يوم الخميس مباشرة ويذهب بعد وصوله أحياناً إلى الجامع مباشرة، وأما الجمعة فلا يعرف أكثر من يصلي معه الجمعة أنه يداوم في الطائف لأنه لا يتغيب عن الجمعة إلا أندر من النادر، هذا ما يتعلّق بالإمامة والخطابة ناهيك عن مكثه الطويل في المسجد قبل وبعد الصلوات.

(١) متفق عليه.

اجتهاده في العبادة

قال وكيع الجراح -رحمه الله تعالى- كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى[١]، وقال القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي -رحمه الله تعالى- لم أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين وكأنني لم أصلها[٢]، وقال محمد بن سماعة -رحمه الله تعالى- مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوماً واحداً[٣]، معين -رحمه الله تعالى- كان إبراهيم بن ميمون الصايغ إذا رفع المطرقة فسمع نداء لم يردها[٤]، جاء في ترجمة سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- أنه ما نودي بالصلاة من أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد[٥].

وسماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- قدوة ومثال يحتذى به في حرصه على العبادة وفي تبكيره للمسجد وفي محافظته على السنن الرواتب وعلى الأذكار، وله حظٌ من طول الصلاة وخاصة في غير الفرائض، وقد شهدتُ هذا بنفسي وشهده وسمعه غيري، وفي هذه الترجمة لسماحته أمثلة قليلة من كثير من تعبّده القولي والفعلي، ومما يحسن إيراده في هذا المقام حادثتان لطيفتان مؤثرتان عن حسن عبادته وطولها:

- **الأولى**: كتبها إليّ من الكويت فضيلة الشيخ محمد بن حضرم السهلي -حفظه الله تعالى- وجاء في رسالته مانصه: (في مسجد الإمام تركي بن عبدالله وبعدما انقضت صلاة العشاء أردت أن أسأل الشيخ عبدالعزيز آل

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٨.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٥.
(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٠٤.
(٤) تهذيب التهذيب ١/ ١٧٣.
(٥) تهذيب التهذيب ٤/ ٨٧.

الشيخ ﷺ فأشار إليَّ الحارس أن انتظر حتى يقضي الشيخ نافلته وأوراده، نسيتُ السؤال والإجابة ولكن ما نسيت طول صلاة الشيخ ﷺ وحُسنها وذكره لله جل جلاله).

- **الثانية**: حدثني الشيخ سليمان الهديب أنه سمع أحد المشايخ المقرَّبين من سماحة المفتي قال كنا مع سماحته في جدة نريد التوجّه إلى مكة، وكان في ذهني سؤال أريد أن أسأل سماحته فلما ركبنا في السيارة كبَّر مباشرة وبدأ في الصلاة حتى وصلنا إلى مكة.

عنايته بالقرآن الكريم

وبيان ذلك من وجوه منها:

١- حفظه المتين للقرآن.
٢- كثرة تلاوته، قياماً به في الليل وتلاوة له في النهار.
٣- كثرة الإستشهاد بنصوصه في خطبه ومحاضراته.
٤- الوصاية به تلاوة و علماً وعملاً.
٥- قرآءته -رحمه الله تعالى- يشعر سامعها أنها من نياط القلب لا تكلّف فيها ولا تنطّع قرآءة سلسة زاد سماعها تلذذاً نبرات صوته وظهور أثرُ خشوعٍ عند التلاوة، ومما يلاحظ على جماعة المصلين خلفه في الجامع الكبير في صلاة التراويح والقيام أن بعضهم يأتون من أماكن متفرقة مع أن الجامع الكبير بعيدٌ نسبياً عن الأحياء السكنية ومع ذلك ترى تنوع أصناف الناس الذين يصلون معه طيلة شهر رمضان مع أنه يطيل القراءة بالنسبة إلى غيره من الائمة. ومن عجيب حرصه على تلاوة القرآن وتعاهده له ما حدثني به بعض الأخوة من أنه صلى معه الفجر فبدأ بسورة البقرة ثم صلى معه الظهر فسمعه يجهر أحياناً ببعض آية من سورة الأعراف تحقق بعد السؤال أنه

سماحته قرأ الست الطوال ما بين صلاة الفجر إلى الظهر.

٦- قال الشيخ سعد بن عبدالعزيز أبو خليل -حفظه الله تعالى-: (لقد امتدّت معرفتي بسماحة الشيخ المفتي عبدالعزيز آل الشيخ ﷺ من خلال صور مشرقة لا تزال حيّة في الذاكرة، فقد كان ﷺ مثالاً للعالم العامل الذي جمع بين الرسوخ في العلم والرفق في التعليم، وبين الهيبة الشرعية والتواضع الجمّ. ومن أعمق ما يعلق بذهني تلك الليالي التي صليت فيها التراويح خلفه مع والدي -حفظه الله-، وذلك في عام ١٤١٤هـ. كان لصوته جمال خاص، يحمل نبرة نجدية واضحة، تجمع بين الخشوع والاتزان، وكأنها تعكس صفاء قلبه واستحضاره للمعاني. كانت تلاوته تُشعر السامع بقرب القرآن من قلبه، وحرصه الشديد على إتمام الختمة في شهر رمضان، الأمر الذي كان يزيد صلاته روحانية وطمأنينة).

إحياؤه لسنّة قراءة سورة الأعراف في صلاة المغرب، فقد حدثني الشيخ الدكتور رياض السعيد -حفظه الله تعالى- أنه سأل سماحته عن قرائته سورة الأعراف في صلاة المغرب فأجابه سماحته (بأنه قرأها كاملةً في صلاة المغرب إماماً في جامع تركي بن عبدالله في التسعينات الهجرية).

وأقول هنا: لعل من أسباب بركة الوقت عند سماحة الشيخ عنايته العظيمة بالقرآن تلاوة وقياماً، ومما يستأنس به ويستشهد به في هذا المبحث (ما ذكره عباس بن عبدالدايم المصري الكناني عن شيخ ضرير أنه أوصاهم بوصايا منها: وصيته لهم بكثرة القراءة، فقال: أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ، قال: فرأيت ذلك وجربته كثيراً، فكنت إذا قرأت كثيراً تيسَّر لي من سماع الحديث وكتابه الكثير وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي)[1].

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٩٨.

سماحة الشيخ وقيام الليل

قيام الليل من أجلِّ العبادت ومن أعظمها تأثيراً على القلوب والجوارح ولهذا كان من عظيم صفاتها أنها:

- من عبادات الأنبياء.﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا.....﴾[١].
- من أوائل وصايا النبي ﷺ لأهل المدينة عند وصوله لها، قال عبدالله بن سلام -رضي الله تعالى عنه-: ... لما قدم رسول الله ﷺ المدينة... جئت في الناس لأنظر إليه وكان أول شيء تكلم به،قال: [أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام][٢].
- شرفٌ للمؤمن، قال: [شرف المؤمن قيامه بالليل][٣].
- ومن فضائل صلاة الليل أيضاً، قوله ﷺ: [عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربه إلى الله تعالى،ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد][٤].

وبعد سياق هذه الأحاديث عن فضائل قيام الليل يقال: كان سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- معروفاً بقيام الليل في حضره وسفره وقد حدثني بعض المقربين له ومن خواصِّه عن محافظته على قيام الليل وأكتفي بخبر واحد فيه نبأ عجيب عن سماحة الشيخ وعنايته بقيام الليل، حدثني به الشيخ الكريم الدكتور بدر بن محمد الوهيبي، قال -حفظه الله تعالى-: (كنت نائماً في منزل سماحته بالطائف وكان سماحته ينام داخل الفلة الرئيسية وأنا في مكان آخر وفي تلك الليلة وقعت صواعق ورعود عظيمة ولما أذَّن الفجر انتظرت الشيخ كالعادة

(١) سورة المزمل ١-٢.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الخطيب البغدادي.
(٤) رواه أحمد والترمذي والحاكم.

لنذهب سوياً للصلاة فلما خرج إذا عيناه فيهما حمرة شديدة ويده حارّة، فسألت الشيخ عن حاله؟ فقال: أنا بخير ليس فيَّ شيء، فقلت له: عيناك فيهما حمرة شديدة ويدك حارّة فقال -رحمه الله تعالى-: البارحة تعطّل الهاتف فانقطع صوت الساعة الهاتفية المنبهة للوقت -بسبب تعطل السنترال- فخشيتُ أن تفوتني صلاة الليل، فقمت أصلي الليل حتى أذَّن الفجر) انتهى كلام الشيخ بدر. رحم الله سماحة الشيخ، وصدق من قال: (وإذا كانت النفوسُ كبارا ::: تعبت في مرادها الأجسام). ومن لطيف ما يذكر في هذا الباب ما ذكره الإمام ابن مفلح نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عليهما قال: (بات عند الأمام أحمد رجل فوضع عنده ماءً، قال الرجل: فلم اقم بالليل ولم استعمل الماء، فلما أصبحت، قال لي: لِمَ لَمْ تستعمل الماء؟ فاستحيت وسكتُّ، فقال: سبحان الله سبحان الله ما سمعت بصاحب حديث لا يقوم الليل. وجرت هذه القصة له مع رجل آخر، فقال له: أنا مسافر، قال: وإن كنت مسافراً، حج مسروق فما نام إلا ساجداً، قال الشيخ تقي الدين فيه أنه يكره لأهل العلم ترك قيام الليل وإن كانوا مسافرين[1].

كتب إليَّ الشيخ عبدالله المبارك ما نصّه: (... وكنت أتعجب من قوة حفظه لقلة أخطائه.. كان ﷺ يتجاوز أحياناً الموضع الذي سيقف عليه فإذا تذكر ركع مباشرة وعند السؤال عن ذلك قيل أنه إذا صلى وحده يقرأ أكثر مما يقرأ إذا صلى بالناس التراويح فينسى ويتجاوز الموقف لأنه قد تعود على إطالة القراءة أكثر من صلاته بالناس إماماً ...).

كتب إليَّ الشيخ عبدالله المبارك أيضاً ما نصه: (كنت أحب كثيراً الصلاة خلف سماحته لا سيما في العشر الأواخر من رمضان لإطالته الصلاة حيث كان يقرأ في الليلة الواحدة بعد دخول العشر الأخيرة من رمضان ثلاثة أجزاء، جزءاً كاملاً في أول الليل وجزءين كاملين في آخر الليل في ثلاث وعشرين ركعة ...).

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٦٩.

توقير سماحته لأئمة العلم المتقدمين ومحبته لهم والبرِّ بهم

توقير سماحته للأئمة السابقين ومحبته لهم وتعظيم شأنهم والدفاع عنهم ومحاكاتهم في سيرهم من الأهمية بمكان عند سماحته -رحمه الله تعالى- ورحمهم، وأكتفي بذكر ثلاثة أمثلة على ذلك:

- **المثال الأول**: قام بالحج عن بعضهم، ومن أولئك: ابن عبدالبر والمنذري وابن حزم والخرقي. وللفائدة فقد ذكر لي الشيخ بدر لهم الوهيبي -حفظه الله تعالى- أنه كان حاجاً مع سماحته فقال سماحته: إنه سيحج عن الإمام الخرقي، فسألته عن سبب ذلك؟ فقال: إنه خرج من بغداد لمَّا ظهر سَبُّ الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- مع كونه لم يحج، فأحب أن أحج عنه، فحج عنه -رحمه الله تعالى- ورحم الإمام الخرقي، وذكر لي الشيخ بدر أيضاً أنَّ سماحته لما قرأ خبر ابن حزم في غيرته على الدين وقيامه على عصاه و إنشائه قصيدة في الرد على اليهود والنصارى في حادثة ذكرها ابن كثير -رحمه الله تعالى-، لما قرأ سماحته ذلك الخبر حجَّ عنه وأيضاً لأن ابن حزم لم يحج، رحم الله سماحته ورحم الإمام ابن حزم.
- **المثال الثاني**: من صادق محبته لهم، دفاعه عنهم، حدثني أيضاً الشيخ الكريم بدر بن محمد الوهيبي -حفظه الله تعالى- فقد ذكر لي أنَّ بعض الكُتَّاب تعرضوا للقدح في مقام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- فتأثر سماحته ولم يهدأ له بال حتى اتصل بأحد كبار المسؤولين وكلمه في ذلك ولم يتحمل الشيخ أثناء المكالمة فبكى تأثُّراً وغيرة على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، فقام ذلك المسؤول -رحمه الله تعالى- بإنهاء الموضوع.

- **المثال الثالث:** كان سماحته يترسّم منهج علماء السنة ويحاكيهم في سلوكهم العلمي والعملي ومن ذلك الوصية لبعض أهل العلم بالتصنيف في فن معين أو مبحث معين.

وإليك هاتين الوصيتين المتشابهتين في مضمونهما وهي مثال له نظائر في سيرة سماحته -رحمه الله تعالى-:

✍ **الوصية الأولى:** (وصية الإمام اسحاق بن راهوية للبخاري) وهذا خبرها، قال البخاري -رحمه الله تعالى-: (كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله)، قال: (فوقع في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح).

✍ **الوصية الثانية:** (وصية سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ للشيخ محمد الأثيوبي) وهذا خبرها: قرأت لبعض تلاميذ سماحته-ولا أتذكّر اسمه-: في بيت اللّه الحرام التقيت بالعلامة محمد بن علي بن آدم بن الأثيوبي، فاحتفى ورحّب ثم قال لي: سلّم لي على سماحة الشيخ وقل له: جزاك اللّه خيرا على وصيتك لي بشرح الترمذي فإني شرعت فيه بشرح ليس في شرحي على مسلم ولا على النسائي!!

توقير سماحته لمشايخه وحفظ مكانتهم

قال ابن جماعة الكناني -رحمه الله تعالى-: (ينبغي لطالب العلم أن يدعو لشيخه مدة حياته ويرعى ذريته وأقاربه)[1] و يقال في هذا المقام: إنَّ سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- سلك هذا المسلك بل ولزمه حتى موته فكان -رحمه الله تعالى- يفخم مشائخه فقد كان يذكر مشائخه ويدعو لهم

(١) تذكرة السامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلّم.

ويترحّم عليهم ويقرأ كتبهم ويوقِرهم إذا حضروا قولاً وفعلاً، (فمن التوقير القولي) عند مقابلتهم: التحفّي بهم وعدم التقدم والأدب الجمُّ عند الحديث معهم، أما إذا كانوا أمواتاً في الدعاء لهم والثناء عليهم، فكم سُمِعَ وهو يترحّم على مشائخه، (ومن التوقير الفعلي) إذا التقى بأحد مشائخه قبَّل رأسه، ولم يتقدّم بين يديه بل حتى جلوسه وهيئته في حضور شيخه ترى فيها تمثَّلَه لقول النبي ﷺ: [ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه]، ومما رأته عيناي وسمعته أذناي ووعاه قلبي حضور الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ أحياناً درس سماحة الشيخ عبدالله بن حميد سنة ١٣٩٨هـ وكأنّي أراه وهو جالس بوقار وسكينة متأدباً غاية أدب التلميذ مع شيخه، وكان الشيخ عبدالله يتحفّى بالشيخ عبدالعزيز إذا عَلِمَ بحضوره ويُجْلِسُه عن يمينه ويتحدّث معه قليلاً قبل الدرس، وقد ذكرتُ هذا الخبر لبعض أهل العلم فقال -وأعجبني قوله- لعل الشيخ عبدالله بن حميد -رحمه الله تعالى- قد تفرَّس في الشيخ عبدالعزيز أنه سيكون له شأن فحرص عليه وتحفّى به، فإن كان ذلك فقد صدقت فراسة الشيخ عبدالله فرحم الله تعالى المتفرِّس والمتفرَّس فيه.

ومما يتعلق بتفخيم مشائخه وتوقيرهم توقيره لسماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- وقد كان للشيخ ابن باز شأنٌ متميّز عنده فمع كثرة الدعاء له كان يذكر فضله عليه وعنايته به في صغره وهذا أمر قد ذكره سماحته غير مرة، ومن شواهد ذلك أن سماحة الشيخ ابن باز سأله لماذا لم تتزوج هل ينقصك شيء أكمله؟ هل تحتاج إلى شيء؟ قلت: لا، ثم قبلت رأسه ولا أنساها له، وأذكر أني زرته في مِنى في أول حجة حججتها سنة ١٣٧٧هـ فقال: من معك؟ فقلت: معي الوالدة والأهل، فقال سماحة الشيخ ابن باز: هل أنتم بحاجة إلى شيء؟ هل تريدون أفدية؟ قلت: قد اشتريناها، قال: هل تريد مساعدة على شيء؟ فقبلت رأسه. وأقول هنا: لعل عناية واهتمام الشيخ ابن باز بتلميذه الشيخ عبدالعزيز

بن عبدالله تفرّسٌ من الشيخ ابن باز أن تلميذه الشيخ عبدالعزيز سيكون له شأن وبذلك تتفق الفراستان فراسة الشيخ ابن حميد والشيخ ابن باز في تلميذهما النجيب عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ -رحم الله تعالى- الشيخين وتلميذهما وجمعهم في فردوسه الأعلى.

وعوداً إلى الحديث عن الشيخ ابن باز، يقال: كان الشيخ عبدالعزيز كما تقدم يُبجِّل سماحة شيخه ابن باز فعندما يلتقي به يُرى عظيم محبته وتبجّيله له فقد كان يقبّل رأسه ويقدّمه ويتأدّب في الحديث معه وغير ذلك من أدب التلميذ مع شيخه، وبكل حال وقائع ذلك مع الشيخ ابن باز كثيرة بحكم مصاحبته في العمل الوظيفي، وأختم ذلك بواحدة حضرها وأجاد في كتابة وصفها فضيلة الدكتور حسن بن محمد الدريعي -حفظه الله تعالى- ورحم والده، قال في ضمن مقاله: (.... يوم انتقل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله إلى بيته الذي سكنه بقية حياته أقام مناسبة كبرى دعا إليها العلماء والكبراء والأصدقاء اذكر أنني رافقت الوالد حينها، ولما دخلنا المجلس وجدناه قد امتلأ على آخره ولاحظت أنَّ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله يجلس على كرسي عند باب المجلس ويستقبل ضيوفه بوجه البشوش مرحباً ثم يرجع إلى كرسي عند باب المجلس فاستغربت إذ كان كرسي سماحته بعيداً عن ضيوفه، ولم يطل بي الاستغراب، حتى وجدت المجلس كله قد هدأت فيه الأصوات وقد وقف الجميع لاستقبال الضيف الكبير القادم سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في فأدركت حينها أن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ظل على كرسيه ذلك عند باب المجلس ينتظر شيخه الجليل الكبير، فلما وصل شيخه وجلس في صدر المجلس، انتقل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله إلى جواره ورحَّب به ثم افتتح مجلساً كأنما هو مجلس من مجالس الجنة وفي روضة من رياضها ...) انتهى المراد من المقال.

وذكر لي فضيلة الشيخ المفيد محمد بن عبدالله بن عمر آل الشيخ -حفظه الله تعالى- أن سماحة الشيخ ابن باز نادى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله قبل إقامة صلاة الفجر، فجاء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله وجلس بين يدي الشيخ بن باز كجلوس الإبن بين يدي والده وكأنه أصغر تلاميذ الشيخ، فكان الشيخ ابن باز يكلمه وهو يرد على الشيخ بقوله سم أبشر سم أبشر، -رحمهم الله تعالى-. وأختم هذا المبحث بخبرين يتعلقان بالشيخ عبدالعزيز مع شيخه ابن باز و ابن الشيخ بن باز عبدالله:

- **الخبر الأول**: كان الشيخ عبدالعزيز يزور الشيخ ابن باز أثناء مرضه ويقوم برقيته والنفث عليه، ويبكي تأثُّراً لحاله.
- **الخبر الثاني**: لما مات عبدالله ابن الشيخ ابن باز، ذهب سماحة الشيخ عبدالعزيز ليصلي على ابن شيخه مع أن حالته الصحية كانت في ضعف وعليه مشقة ومع ذلك تحامل على نفسه وحضر الصلاة عليه، ولم يكتف بالصلاة عليه بل أعتذر من طلابه عن الدرس بعد مغرب ذلك اليوم وأخبرهم بأنه سيذهب لعزاء آل باز في وفاة عبدالله ابن الشيخ . لله درُّ هذا الشيخ في وفائه لأبناء شيخه، وكما قيل: لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، رحم الله تعالى الشيخ وتلميذه و ابنه.

❁ محبته العظيمة للشيخ محمد بن عثيمين -رحمة الله تعالى عليهما-

ثناؤه على الشيخ ابن عثيمين أمر مشهور عنه، وكان يوقِره ويفخم شأنه وشأن كتبه، أخبرت سماحته مرة بأني سأذهب لعنيزة وسأقابل الشيخ ابن عثيمين، فأثنى عليه وعلى علمه ومؤلفاته ثم قال بلّغه سلامي، فلما قابلت الشيخ ابن عثيمين وأبلغته سلامه، أثنى الشيخ ابن عثيمين مباشرةً على سماحته وذكر كلاماً عن طيب قلب سماحته وصادق نيته، -رحمة الله تعالى عليهما-.

تفخيمه لزملائه في طلب العلم وحفظ معروفهم

جاء في ترجمة الإمام عبدالله بن المبارك -رحمه الله تعالى- أنه كان يُفَخِّمُ أصحابه، فيقول: أين مثل فلان؟ وسماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- كان يُفَخِّمُ أصحابه محبةً لهم وحفظاً لمكانتهم وإظهاراً لمودتهم وتقديراً لمنزلتهم. وأكتفي بذكر مثالين:

- **المثال الأول**: لواحد من أبرزهم إن لم يكن أبرزهم كان سماحته يحبه ويفخّمه وأعني بذلك فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين -رحمه الله تعالى- فقد كان سماحته يثني على الشيخ عبدالله ويدعو له ويقول: إنه أسمعني كتباً كثيرة وله عليَّ فضلٌ.

ومما قال سماحته -رحمه الله تعالى- عن الشيخ عبدالله: طلبتُ من الشيخ عبدالله بن جبرين أن يقرأ علي فتاوى شيخ الإسلام فقرأها عليَّ كاملة وكان يعينني كثيراً على البحث ودراسة المسائل العلمية لكوني كفيف البصر.

ولما ناقش سماحتُه الشيخَ ابن جبرين في رسالة الدكتوراه أثنى على علمه وبجّله وفخّمه، رحم الله تعالى الشيخين.

- **المثال الثاني**: حدثني به صاحبه وزميله الشيخ ثنيان بن عبدالرحمن الثنيان في منزله وحضور بعض إخوانه وبعض أبنائهم، وخلاصة ما ذكر لي أنه كان زميلاً لسماحة المفتي أثناء الدراسة وكان يقرأ على سماحة الشيخ بعض ما يحتاجون من الكتب للدراسة، ومن باب مكافأة صاحب المعروف دفع الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ للشيخ ثنيان مبلغاً من المال يعتبر كبيراً ذلك الوقت فردّه الشيخ ثنيان وأبى أن يأخذ شيئاً من ذاك المبلغ وأخبره سماحته أنهم زملاء وأن قرآءته عليه محبة له واحتساباً للأجر، هذا خلاصه الخبر

وسيأتي الشاهد منه، زاد ذلك الخبر تأكيداً ابنه الدكتور عبدالله بن ثنيان آل ثنيان وكيل وزارة الداخلية للأحوال الشخصية سابقاً ومدير المعهد العالي وكان حاضراً في المجلس بل ذكر الدكتور عبدالله -حفظه الله تعالى- أنه دخل بوالده الشيخ ثنيان على سماحة المفتي في مجلسه وعنده بعض الناس فلمّا علِم سماحة الشيخ بدخول الشيخ ثنيان أثنى عليه أمام الجميع وقال: بأنه صاحب معروف عليه، إلى آخر ما ذكر الدكتور عبدالله رحم الله سماحة الشيخ عبدالعزيز وضاعف الأجر للشيخ ثنيان وألبسه ثوب الصحة والعافية، وصدق الشاعر إذ يقول:

وإذا كانـــت النفـــوس كبارا

تعبـــت في مرادها الأجســـام

محبته لطلاب العلم وتشجيعهم والثناء عليهم

كان سماحته يفخّم من شأن طلابه وخاصَّة من كان معتنياً بالعلم ومشاركاً في المناشط الدعوية، فقد كان يثني على بعض طلابه وأحياناً على بعض كتبهم ويشكرهم عليها بل ويوصي بها، ومن شواهد ذلك ما كتبه وأرسله إليَّ الشيخ الدكتور/ عمر بن عبدالرحمن العمر قال -حفظه الله تعالى-: (ومن المواقف التي لا أنساها لسماحته ﷺ أنني كتبت ذات مرة مقالاً مطولاً في جريدة الجزيرة حول دعوة الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ﷺ والدفاع عنها وبراءتها من فكر الخوارج والغلو في التكفير، فإذا بسماحته وبتواضعه المعروف وكريم أخلاقه يتصل بي شاكراً ومشجعاً -رحمه الله تعالى-.

ومن فضائله ﷺ أنه يشجع طلابه في تأليفهم للرسائل والكتب ويقوم بالتقديم لهم دعماً لهم، ومن ذلك أنني تشرفت بتقديمه لكتابي «إرشاد الأنام إلى أصول ومهمات دين الإسلام» وأوصى بترجمته فكانت لوصيته الأثر العظيم

حيث ترجم الكتاب إلى قرابة عشرين لغة...) انتهى المراد من كتابة د/ عمر.

وبكل حال فثناء سماحته في مثل هذه الأمور، معروف بل مألوف من منهجه -رحمه الله تعالى-. وأعجبُ من هذا أنه -رحمه الله تعالى- كان يفرح بالفائدة ولو كان صاحبها صغيراً بل قد يكون في عمر أبنائه أو أحفاده ومع ذلك يشكره عليها ويدعو له ويثني عليه أمام الحاضرين، وهذه المقامات يضعف عنها الكثير، فرحم الله سماحة الشيخ عبدالعزيز، وأحسب أنه شابه بهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي، قال أيوب بن المتوكّل: (كان الخليل إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحدٍ شيئاً أراه بأنه استفاد منه).

ولتمام الفائدة فقد قال الإمام الذهبي على وصف أيوب للخليل: قلت: صار طوائف في زماننا بالعكس.

❁ ومن صور محبته وتشجيعه لطلاب العلم:

ما كتبه إليَّ الدكتور عبدالله بن عبدالكريم الشايع -حفظه الله تعالى- ونصّه: (استضافني سماحته في دار الإفتاء مع مجموعةٍ من طلابي في الثانوية وحثَّهم على العلم الشرعي ووجَّههم بتوجيهات نافعةٍ لهم، وكان في غاية اللِّين والتواضع -رحمه الله تعالى- رحمة الأبرار).

محبته ووفاؤه لأصحابه

أولاً: جاء في (ترجمة الإمام عبدالله بن المبارك -رحمه الله تعالى- أنه كان يفخّم أصحابه فيقول: أين مثل فلان؟). وسماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- يفخم أصحابه محبة لهم وحفظاً لمكانتهم ومودتهم.

ثانياً: من طبائع أمور الصحبة بين الناس أن يكون هناك مودة ومحبة خاصة لبعضهم دون الآخرين ولعل هذا الأمر يدخل ضمن قوله ﷺ: [الأرواح جنود

مجندة فما تعارف منها إئتلف....] وتميّز الأصحاب يعرفه كل أحد في نفسه مع خاصة أصحابه وقد كان لنبينا ﷺ أصحاب كثيرون لهم فضلهم ومكانتهم في نفسه إلا أنَّ فيهم من له تميّز على غيره.

فأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنهما- لهما تميّز ومكانة فوق غيرهما ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: [ذهبت أنا وأبوبكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر] وكذا قوله ﷺ: [اقتد وابااللذين من بعدي] ومع تميّز الشيخين -رضي الله تعالى عنهما- عن غيرهما فقد كان لأبي بكر قصب السبق في الفضل والقرب والمحبة عند النبي ﷺ ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: [... هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي] خصّه بصحبة مميّزة عن غيره في خطابه لأصحابه -رضي الله تعالى عنهم-. وبعد هذه المقدمة أقول: إن لسماحة الشيخ أصحاباً كثيرين، وإنَّ من أخصِّ أصحابه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن مقيرن -رحمة الله تعالى عليهما-، وأمر صحبتهما مشهور معروف عند الكثيرين من معارفهما وإني أحمد الله تعالى الذي أكرمني بالقرب من هذين الشيخين الصالحين فقد جالستهما في بيوتهما وخارج بيوتهم واستفدت منهما علماً وتوجيهاً ودعاءً، جزاهما الله تعالى عني خيراً، ومن باب ردِّ بعض معروفهما عليَّ أذكر في هذا المقام شواهد من صادق صحبتهما ومحبتهما:

- **أولاً**: استمرت صحبتهما الصادقة أكثر من خمسين(٥٠)سنة.
- **ثانياً**: ثناءٌ كلِ واحد منهما على صاحبه، فطالما حدثني سماحة المفتي عن الشيخ بن مقيرن وعن صلاحه وكرمه وكذا الشيخ ابن مقيرن طالما حدثني عن سماحته.
- **ثالثاً**: بلغني أنهما يتحدثان بالهاتف كل يوم تقريباً وخاصة بعد صلاة الفجر.

- **رابعاً**: كان يتصاحبان لمجالس العلم. فقد كان الشيخ ابن مقيرن يأخذ بيد سماحة الشيخ ويذهب به لحضور دروس الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب الشثري والشيخ عبدالعزيز المرشد.
- **خامساً**: قرأ الشيخ عبدالعزيز بن مقيرن على سماحة الشيخ كثيراً من الكتب بل أعاد قراءة بعضها وقد عرفت أنه قرأ عليه تفسير ابن كثير مرتين ناهيك عن غيره.
- **سادساً**: أخبرني الشيخ بن مقيرن أنه كان مرافقاً لسماحة الشيخ عند عقد النكاح لسماحته، وهذا مما يؤكّد توثّق رابطة الصحبة الصالحة الصادقة بينهما.
- **سابعاً**: كان الشيخ ابن مقيرن بعد الإفطار صباح يوم الجمعة يذهب إلى منزل سماحة المفتي عندما تعيَّن خطيباً في الجامع الكبير، ويراجع معه الخطبة وأحياناً يلقي سماحة الشيخ الخطبة أمام الشيخ بن مقيرن ثم يذهبان سوياً إلى الجامع وكذلك خطبة العيد وأحياناً خطبة عرفة، وعندما تعيَّن الشيخ ابن مقيرن خطيباً في جامع سارة لم يستطع الذهاب إلى منزل سماحته صباح الجمعة.
- **ثامناً**: من صادق محبة الشيخ ابن مقيرن لسماحة الشيخ عبدالعزيز أنه كان حريصاً عليه قبل صعود منبر عرفة فكان الشيخ ابن مقيرن يحرص على العناية بهيئة إحرام سماحته ووضع المشابك ليُحكِمَ له الإحرام، وحسبك بهذه العناية من الصاحب لصاحبه! وقد حدثني بهذا والذي قبله أحد أبناء الشيخ عبدالعزيز بن مقيرن -رحمه الله تعالى-.
- **تاسعاً**: لما مرض الشيخ عبدالعزيز بن مقيرن كان سماحته يزوره ويطمئن عليه كل جمعة بعد الصلاة، ومن المواقف المؤثرة أنه عندما أُخبر أنَّ الشيخ عبدالعزيز بن مقيرن موجود في المسجد وكان الشيخ ابن مقيرن

على كرسيه المتحرك بادر إليه سماحته وسلَّم عليه وقبَّل رأسه ويده وجلس عند كرسيه يسأله ويطمئن عليه، ولا أدري من أيهما أعجب من تواضع سماحته أو عظيم محبتهما لبعضهما.

- **عاشراً**: كلما زرت سماحة الشيخ سألني سؤالاً تعوَّدت عليه أذناي: ما أخبار أبي خالد؟ وكذلك الشيخ ابن مقيرن كلما زرته سألني بعبارة لا أنساها وهي قوله: مبطي عن الشيخ؟ الله تعالى أسأل كما جمعهما في الدنيا متحابين أن يجمعهما في الآخرة على سرر متقابلين في جنات النعيم.

وأحمد الله تعالى الذي أعانني ويسّر لي كتابة سيرة كل واحد منهما في كتاب مستقل، رحمة الله تعالى عليهما وجزاهما عني خيراً.

ومن خواص أصحابه الشيخ سلطان السعدون وقد حدثني أنه أتى إلى الطائف ومعه الوالدة -حفظها الله تعالى- وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز في الطائف وبحكم العلاقة الوثيقة بين سماحته وبين سلطان ذهب سلطان للسلام عليه، وعلم سماحته بأن الوالدة معه فأصرَّ على أن يكون سكنهما في منزله، بل وترك مكانه الخاص في منزله لأم سلطان وقال: هذه والدتنا، وبات في مكان آخر في البيت وهذا يدل على عظيم تواضعه وتقديره لصاحبه وتوقيره لأم صاحبه -رحمه الله تعالى-.

وكتب إليَّ الشيخ الكريم الدكتور عبدالعزيز بن مداوي كلاماً مفيداً عن علاقه والده بسماحة الشيخ -رحمة الله عليهم- وقد انتقيت من كلامه ما يلي: (كان والدي الشيخ مداوي بن علي آل جابر ﷺ يكنُّ تقديراً عميقاً لأسرة آل الشيخ منذ وقت مبكر من حياته العلمية.. إلى أن قال: وقد كانت آخر زيارة لوالدي لسماحة المفتي في صباح يوم الخميس من شهر شوال عام ١٤٣٢هـ، قبيل دخوله مستشفى الملك فيصل التخصصي بيومين، إذ رغبتُ في إدخال السرور عليه بعد أن رأيت علامات المرض تثقل جسده، فأشرت عليه أن نزور

سماحة المفتي قبل موعد دخوله المستشفى، فاستبشر بذلك ودعا لي وقال: مناسب، جزاك الله خيراً. وكأنما انشرح صدره، وسُرِّي عنه، وظهرت على وجهه علامات الفرح والاستبشار، حتى قال لي: كأنها زيارة وداعٍ له، فهو من أحب الناس إلى قلبي. وعندما دخلنا على سماحة المفتي في منزله، تهلّل وجهه، وأقبل على والدي ترحيباً واحتفاءً، وقال أمام الحضور: الشيخ مداوي كان أحد أعمدة دار الإفتاء، ومعرفتي به قديمة، ووفاؤه لمشايخه معروف. واستمر بينهما حديث أخوي لطيف، تتخلله الذكريات وتحفه دعوات الخير. وكان والدي ﷺ كثيراً ما يقول: إن لأهل العلم فضلاً لا يُنسى، وإن أسرة آل الشيخ خاصّة كان لها في حياتي أثر لا يمحوه الزمن، حيِّهم وميِّتهم؛ فأنا أقرّ لهم بالفضل بعد الله، وأدعو لهم ما حييت. وقد كان سماحة المفتي ﷺ يبادل والدي ﷺ هذا الوفاء، فكان دائم السؤال عن والدي يسألني عنه في حياته في كل زيارة أزوره فيها وكان يسأل عن والدي من يفد عليه من الدعاة والأعيان ممن لهم صلة بوالدي فيبتدؤهم بالسؤال عنه سواءً في الجامع الكبير أو في مكتبه وينقلون لوالدنا سلام المفتي والسؤال عنه، كما كان يقدم له الدعوة للحج مع الرئاسة سنوات عديدة...).

حدثني الأخ الفاضل مطلق الشيباني العتيبي أحد أفراد المرافقة الخاصة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ثم لسماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ (أنه أثناء توجهه للعمل من بيته حصل له حادث سيارة وقدّر الله تعالى عليه بترَ يدِهِ من المرفق، فبلغ الخبر الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ فتأثّر سماحته واتصل بأحد كبار المسؤولين في أمارة الرياض وطلب منه نقلي إلى المستشفى التخصصي فتمّ بتوفيق الله تعالى ثم بشفاعة سماحته، وزارني سماحته في المستشفى، وقال: ما تحتاجه أنا أقضيه إن شاء الله تعالى لك، ثم لما خرجتُ إلى منزلي زارني مرتين للإطمئنان عليَّ ولما توفي والدي -رحمه الله تعالى- زارني في منزلي للعزاء -رحمه الله تعالى- وجزاه عني خيراً).

وكتب إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان[١] مجموعة من القصص والأخبار عن سماحته، قال: (أنَّ سماحته طلب منه التوجه للمستشفى وإحاطته بحالة مطلق الشيباني الصحيه، وقال له: تابع أموره وأخبرني عن كل ما يحتاجه ثم قام بزيارة مطلق في المستشفى وقال له: إذا يوجد أي علاج طبي تحتاجه حتى لو خارج المملكة أنا مستعد لمساعدتك. رحم الله سماحته).

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان (كان سماحته أثناء انعقاد جلسات هيئة كبار العلماء بهيئته الدائمة في مقر الرئاسة يقيم وجبة غداء للعلماء الأفاضل، ومائدة لجميع الموظفين خاصة بهم ويأمر بمائدة مستقلة لرجال الأمن المكلفين الذين يتناولون الوجبة بعد انصراف الجميع وخلو الرئاسة وتحت إشراف معالي نائبه الشيخ فهد العواد وإشراف إدارة العلاقات ويحرصون أن يؤمَّن في مائدة رجال الأمن جميع الأصناف لضمان أن لاينقص رجال الأمن أي صنف وكان ذلك سنوياً، -رحم الله تعالى- سماحته).

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان (في كل مرة يغادر عن طريق الصالة الملكية بطائرة خاصة ومن معه من الموظفين إلى محافظة الطائف ومن ثم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج. كان سماحته قد أمرني بالتأكد أنَّ جميع مرافقيه قد ركبوا الطائرة، وجميع المشائخ وضيوفه الكرام ولم يتأخر أحد، والتأكد هاتفياً لمن تأخر هل سيحضر؟ وعند ركوب الجميع أقوم بالتأكّد من وجود الجميع داخل الطائرة ومن ثمَّ استأذنتُ سماحته أن أُبلّغ المسؤول في الطائرة عن حضور الجميع وأسلّم كشف بالأسماء للموظف المختص بالصالة الملكية عند إقلاعهم وحين عودة سماحته للرياض كنت استقبله في الصالة الملكية ويأمرني أن لا أغادر الصالة حتى أضمن أنَّ الجميع غادروا وأخذوا حقائبهم وأبلّغه شخصياً بذلك -رحم الله تعالى- سماحته).

(١) المستشار الأمني لسماحة المفتي العام ورئيس وحدة أمن الرئاسة.

وفاؤه لأصحابه بعد موتهم

كتب لي المهندس الدكتور سلطان بن إبراهيم الفايز -حفظه الله تعالى- ما نصه: سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ -رحمه الله تعالى- شيخنا ووالدنا تحبه منذ أن تراه، يأسرك بتواضعه ودماثة خلقه، استفدت من علمه وأخلاقه، عرفته منذ الصغر، وذلك لأن خالي الشيخ سليمان بن إبراهيم الغفيص ﷺ كان يعمل مع سماحته في دار الإفتاء، فكان خالي بعض الأحيان يصطحبني معه فألتقي بسماحة الشيخ، وبعد فترة توفي خالي في حادث سير على طريق الجنوب فحزن عليه سماحة الشيخ وحضر لبيت خالي معزياً وأصبح ﷺ فيما بعد يسأل ويتفقد عن ذرية خالي وقرابته، وأذكر أنني إذا زرت سماحة الشيخ وعرفت بنفسي وذكرت قرابتي بالخال ﷺ دعى له، فرحم الله سماحة الشيخ والخال وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة يا رب العالمين.

أذكر أني أثناء دراستي للفصل التمهيدي للدكتوراه في المعهد العالي للقضاء كان مقرر مادة فقه الأسرة عند سماحة الشيخ فاستبشرنا خيراً ولكن قدر الله أن مر سماحة الشيخ بوعكة صحية فخلفه ابنه الشيخ الدكتور عبدالله في التدريس فكان خير خلف لخير سلف.

كنت بعض الأحيان أذهب بصحبة الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان لزيارة سماحته في دار الإفتاء وكذا في منزله فأجد منه حفاوة وترحيباً وتقديراً وكذا أرى منه تقديراً خاصاً للشيخ عبدالعزيز وهو أهل لذلك.

أذكر أني في إحدى المرات خطبت للجمعة من إحدى خطب سماحته فبعد الصلاة كلمني أحد طلبة العلم وأثنى خيراً على الخطبة وذلك من عاجل بشرى سماحته. رحم الله سماحة الوالد وجمعنا به ومن نحب في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فرحه وسروره بسماع كتب العلم والمبادرة بشكر مؤلفيها والثناء عليهم بالعلم

فعندما ختم القارئ -حفظه الله- تعالى عليه كتاب «كشف شبهات المخالفين في توحيد الأنبياء والمرسلين» للشيخ عبدالله القصير، قال القارئ للكتاب: أُعجِبَ الشيخ به، وقال لي: سلّم لي على الشيخ وقبّل لي رأسه واشكره على هذا الكتاب. ولما سمع بعض ما كتبه الشيخ عبدالله بن صالح الفوزان -حفظه اللّه تعالى- في كتابه «منحة العلام في شرح بلوغ المرام»، قال القارئ عليه: (اتصل سماحته عليه وأثنى ثناء عاطراً على طريقة تقسيم الكتاب بما تمنيت أني قيدته، ثم قال له: يا شيخ عبدالله استخر اللّه واستعن بالله الليلة وابدأ بشرح المنتقى الذي لم يشرحه حنبلي قط).

تلذُّذه بالعلم

من أعظم نعم الله تعالى على صاحب العلم: التلذذ بالعلم. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ والعلم من أعظم أمور الإيمان ومما يحسن ذكره هنا قول الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى-: (من التذَ بالحديث ومجالسة أصحاب الحديث) ثم ساق آثاراً في هذا الباب[1]. ومن خلال مجالستي لسماحته أثناء القراءة عليه أو رؤية سمته وإنصاته عند مشائخه أو عندما يتحدث عن الأئمة وكتبهم وكذلك المصنفين المعاصرين وكتبهم، أكاد أجزم أنَّ سماحته يتلذّذُ بالعلم نطقاً وسماعاً ومدارسة، ولعل من يقرأ أو يسمع كلامي هذا يوافقه ويؤكِّده، وإذا رأيت وجهه يتهلل وسمعت كلامه ودعواته وثناؤه على أهل العلم، علمتُ أنَّ ذلك ثمرة التلذّذ بالعلم، وأحسب أن لسان

(١) شرف أصحاب الحديث.

الحال عند سماحته كلسان المقال عند الشافعي -رحمه الله تعالى- عندما قيل له: (كيف شهوتك في العلم؟ فقال: أسمع بالحرف مما لم أسمعه فتودّ أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثل ما تنعمت به الأذنان)[1].

كتب إليَّ الدكتور/ عبدالله بن عبدالكريم الشايع -حفظه الله تعالى-، مانصه: (كنتُ مرافقاً لسماحته مع الشيخ عبدالكريم بن صالح المقرن شفاه الله تعالى -المقدِّم والمذيع في إذاعة القرآن الكريم- من الرياض إلى الطائف، في فترة انتقال هيئة كبار العلماء آن ذاك للطائف خلال الصيف، وكان ذلك تقريباً في عام ١٤٢١هـ، حيث استضافنا سماحة الشيخ ﷺ في منزله بالطائف، وذلك لتسجيل برنامج شرح المنتقى الذي بدأه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله تعالى-، وبعد وفاة سماحته استأنفه الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ -رحمه الله تعالى-، وكذلك لتسجيل برنامج (نورٌ على الدرب).

وفي صبيحة اليوم التالي صلينا الفجر مع سماحته -رحمه الله تعالى-، ثمَّ قال لي: (فاضي يا عبدالله) قلت (نعم) قال أريد أن تقرأ علي أحد الكتب الشرعية، فأمسكت بيده والكتاب في يدي الأخرى وبدأت بالقرآءة عليه وكان ذلك وأنا أمشي معه في حديقة منزله، حتى أشرقت الشمس، وبعد أن انتهينا أثنى عليَّ وشكرني ودعا لي).

سماحة الشيخ (مُدلّل الكتاب)

سماحة شيخي عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ -رحمه الله تعالى- له مع الكتاب شأنٌ عجيب.

وأنا ألقّبه بأنه (مدلّل الكتاب) والتدليل من الدلال ومن معاني الدلال:

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢١.

الإنبساط والإعجاب والمحبة فسماحة الشيخ عبدالعزيز يدلِّل الكتاب ومن شواهد ذلك أنه عندما يسمع عن كتاب جديد أو تحقيق أو شرح لكتاب فإنه -رحمه الله تعالى-:

أولاً: يحرص على سماع الخبر عنه والسؤال عنه.

ثانياً: يأمر بشرائه.

ثالثاً: يتلمّس الكتاب بيديه.

رابعاً: يحرص على سماعه.

خامساً: يدعو لمؤلفه أو محققه أو شارحه.

سادساً: يتصل أحياناً بصاحب الكتاب ليشكره.

سابعاً: إذا حضر عنده صاحب الكتاب تحفَّى به وشكره أمام الحاضرين.

ثامناً: يذكره أحياناً لتلاميذه وبعض من يزوره ويوصي به، ومن لطيف أحواله مع الكتب، ما ذكره عنه تلميذه الشيخ الدكتور بدر بن محمد الوهيبي -حفظه الله تعالى- فقد كتب إليَّ الشيخ بدر بما نصه: [كان سماحة الشيخ مولعاً بالكتب والسؤال عن الجديد ويحب مكتبته حباً جماً، مرة كنت عنده في المكتبة وليس معنا أحد فاخذ بيدي وبدأ من بداية رفوف المكتبة فاتحاً يديه ويقول (ما هذا الكتاب، وهذا وهذا..) ويحتضن المكتبة كأنه يحتضن أعز حبيب درنا على مكتبته كلها على هذا الحال]. انتهى.

ومما يحسُن ذكره في حرص ومحبة سماحته -رحمه الله تعالى- للكتب، ما ذكره الإمام الذهبيّ ونصه: (من الأمور التي يشغف بها المحدث تحصيل النسخ المليحة)[1]، ومن الطرائف المتعلقة بعلاقة سماحته بالكتاب قصة ذكرها الدكتور هشام آل الشيخ فقال ما نصه: [...مرة كنا في مكتبة سماحة الشيخ في بيته

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٥.

القديم بالوسيطى بالقرب من دخنة، أنا والأخ الفاضل زميلنا الدكتور أحمد بن إبراهيم الورقان، ومعنا سماحة الشيخ، فطلب سماحة الشيخ كتاباً في العقيدة من المكتبة، فقمت للبحث عنه فلم أجده، ثم قام الدكتور أحمد يبحث عن الكتاب فلم يجده، فقال سماحة الشيخ: هو في قسم العقيدة من المكتبة، وبحثنا ولم نعثر عليه.فقال الشيخ: هو في الرف الثالث من الدولاب الأول على يمين المكيف. فبحثنا ولم نجد ذلك الكتاب.

فقال الشيخ: اقرؤوا عناوين الكتب في الرف الثالث من ذلك الدولاب.

فقرأت أنا والدكتور أحمد عناوين الكتب كلها في، ذلك الرف كاملة ولم نصل لذلك الكتاب. فقام سماحة الشيخ بنفسه حتى وصل إلى الدولاب ووضع يده على الرف وتلمس الكتب بيده حتى أخرج الكتاب بنفسه وقال: اقرأ عنوان هذا الكتاب؟ فإذا هو ما كنا نبحث عنه!.

فضحك الشيخ وقال: (الحمد لله، أربع عيون ولم تروه) أو كلمة نحوها.

فقلت للشيخ: أحسن اللّه عملك، كيف عرفت مكانه؟ فقال: أنا وضعته من أسبوع في هذا المكان. ﷺ رحمة واسعة][1] ولتمام الفائدة و الترويح أسوق ثلاثة أخبار عن بعض لطائف أهل العلم مع الكتب، وأحسب أن سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- لو سمعها لتبسَّم ضاحكاً وترحّم على أصحابها:

- **الأول**: عبدالله بن أحمد الخشاب ذُكِر عنه أنه اشترى يوما كتباً بخمسمائة دينار ولم يكن عنده شي فاستمهلهم ثلاثة أيام ثم مضى ونادى على داره فبلغ خمسمائة دينار فنقد صاحبها وباعه بخمسمائة دينار ووفَّى ثمن الكتب وبيعت له الدار[2].

(١) ومضات من سيرة سماحة المفتي، ص٧٣-٧٤.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣١٩.

- **الثاني**: الحسن بن أحمد الهمداني، قال ابن الجوزي: (وبلغني أنه رئي في المنام في مدينة جميع جدرانها من الكتب وحوله كتب لا تحد وهو مشتغل بمطالعتها، فقيل له: ما هذه الكتب؟ قال: سألت الله تعالى أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا فأعطاني)[١].
- **الثالث**: تزوج إسحاق بن راهويه بأرملة رجل كان عنده كتب الشافعي، فقيل له في ذلك، فقال: تنكح المرأة لكتبها[٢].

سماحة الشيخ مع المساكين

قال ﷺ: [اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين، قالت عائشة -رضي الله تعالى عنها-: لِمَ يا رسول الله؟ فقال ﷺ: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً][٣] قال الإمام الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- في أثناء كلامه عن أخلاق المُحَدِّثِ (مبحث إكرام الغرباء من الطلبة وتقريبهم) ثم ساق بإسناده عن أبي هارون العبدي قال كنا إذا جينا أبا سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه- يبسط لنا رداءً، ويقول: اجلسوا على هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إنه سيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ويطلبون حديثي فإذا جاءوكم فأكرموهم] وكتب أبو يعقوب البويطي إلى الربيع بن سليمان: (أن اصبر نفسك للغرباء وأحسن خلقك لأهل حلقتك)[٤].

ومما عُرِف عن الشيخ لين جانبه مع الفقراء. حدثني الشيخ الكريم بدر بن محمد الوهيبي فقال: (كان سماحته -رحمه الله تعالى- يحب المساكين ولا يطردهم من مسجده ولا مجلسه وتراهم حوله في الجامع الكبير ويناديهم

(١) ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٧٠.
(٣) أخرجه الترمذي وغيره.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/ ٤٧٢.

باسمائهم لمعرفته وطول حضورهم عنده، بل إن بعضهم يناديه بقوله: يا بو عبدالله هكذا بدون ألقاب فلا يعاتب أحداً منهم بل يتبسّط معهم ويداعبهم، ولما وقعت نازلة كورونا، انشغل ذهنياً بهم وكان يقول: من سيحضر لهم الطعام من سيتعاهدهم وتكدَّر خاطره من ذلك حتى قيل له: إن هناك من تكفل بأمورهم ومتابعة أحوالهم، فاطمأن لذلك -رحمه الله تعالى- وجزاه عن أولئك الفقراء خيراً) انتهى خبر الشيخ بدر -حفظه الله تعالى-، وأختم هذا المبحث بخبر عجيب في طيب قلب سماحته ورحمته وتحمّله لتصرّف وسفه بعض الفقراء، ومما يحسن ذكره قبل الخبر، قول الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- في أثناء كلامه عن أخلاق المُحَدِّث، قال: (الرفق بمن جفا طبعه منهم) ثم ساق أحاديث منها: حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-، قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ بفاحش ولا متفحش ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح) وسماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- من أرفق الناس في معاملة الناس وبخاصة من جفا طبعه وساء خلقه، وإليك الخبر: حدثني فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله بن عمر آل الشيخ -حفظه الله- تعالى فذكر: [أنَّ رجلا من أحد الدول العربية، اسمه (.....) جاء إلى المملكة منذ وقت طويل، وكان فقيراً وفيه سفه وجرأة فتسلّط على سماحة الشيخ وأكثر من أذيته فكان إذا قابل الشيخ لمزه تصريحاً لا تلميحاً بكلمات لا تصدر من مجنون فضلاً عن عاقل والشيخ يتلقَّاه بصدر رحب، ويقول : كيفك يا....؟، وتعوَّد الشيخ -رحمه الله تعالى- على أذيته في كل يوم، وفجأة انقطع ذلك الرجل الفقير عن عادته اليومية في السفاهة على الشيخ، ففقده الشيخ، وقال: أسألوا لي عنه، فسألوا عنه، ثم أخبروا الشيخ أنه مريض وهو موجود في مستشفى الشميسي فذهب إليه سماحة الشيخ وأخذ معه طعاماً له وزاره في المستشفى واطمئن عليه]، -رحم الله تعالى- سماحة الشيخ وصاحبه وجمعهما في جنات النعيم.

سلامة قلبه على المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ سورة الحشر[١٠] وقال ﷺ: [يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة] فتبعه عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله تعالى عنهما- وسأله عن عمله فقال لا أجد في نفسي غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه[١] وقال ﷺ: [أفضل الناس كل مخموم القلب صدوق اللسان،قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد][٢].

وعن زيد بن أسلم -رحمه الله تعالى- قال دُخِلَ على أبي دجانة -رضي الله تعالى عنه- وهو مريض وكان وجهه يتهلَّل، فقيل له: مال وجهك يتهلَّل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى: كان قلبي للمسلمين سليماً[٣] وبعد سياق هذه الأحاديث والآثار أقول في هذا المقام: أحسب أنَّ لسماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- حظاً من هذا الأحاديث والآثار ومن شواهد ذلك ما عرفه القريب والبعيد من سيرته وحديثه في مجالسه، فمن جالسه وتحدَّث معه يكاد يجزم بسلامة قلبه على المسلمين أحسبه كذلك والله وحسيبه ولا أزكي على الله أحداً، فلم يُسمع منه شيء من أمور الغلِّ أو الحقد أو الغيبة في أحد من المسلمين بل الدعاء للمحسن بالتوفيق والسداد والدعاء للمسيء بالهداية والرشاد مع مناصحته إن تيسَّر ذلك، وهذه أخلاق العلماء. ويُذكرني خُلُقُهُ في هذا المقام بما قاله يحيى ابن معين -رحمه الله تعالى-: ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته وأحببتُ أن أزيّن أمره وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، لكن أبيّن له خطأه فيما بيني وبينه فإن

(١) أخرجه الإمام أحمد.
(٢) اخرجه ابن ماجة، السلسلة الصحيحة حديث رقم ٩٤٨.
(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٣.

قبل ذلك وإلا تركته[١]، وستقرأ في هذا الكتاب أمثلة تدل بل تؤكد على سلامة قلبه على المسلمين -رحمه الله تعالى-.

ومما أرى ذكره هنا مناسباً، ما سمعته من وصف ماتع لسماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ قاله عنه فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله بن عمر آل الشيخ فقد قال ما نصه: (أظنه خرج من الدنيا لم يؤذ مخلوقاً أي مخلوق فضلاً عن إنسان فضلاً عن مسلم، أظنه ما صلى صلاة في غير وقتها ولا يغيب عن المسجد إلا أن يكون مسافراً) قلتُ: وما أجمل هذا الوصف من الشيخ محمد -حفظه الله تعالى- وأحسب أن سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- أهلٌ له.

مشاركته لأفراد المجتمع آمالهم وآلامهم

وهذا الأمر من أصول مقاصد الشريعة وأكتفي بدليلين من القرآن والسنة، فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[٢] ومن السنة قوله ﷺ: [... لقد تَرَكْتُمْ بالمدينةِ أقواماً ما سرتُمْ مسيراً ولا أنفقتُمْ من نفقةٍ ولا قطعتُمْ من وادٍ إلَّا وَهُم معَكُم قالوا: يا رسولَ اللَّهِ وَكَيفَ يَكونونَ معَنا وَهُم بالمدينةِ ؟ قالَ: حبسَهُمُ المرضُ][٣] وهذا المنهج أعني مشاركة أفراد المجتمع مشاعرهم هو منهج العلماء الراسخين ومن شواهد ذلك ما جاء في ترجمة الإمام مالك -رحمه الله تعالى-: (أنه كان يأتي المسجد فيشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعودُ المرضى ويجلس في المسجد فيجتمع إليه أصحابه)[٤] وعوداً على بدء يقال: كان سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- حريصاً على مشاركة أهل المجتمع في إسعادهم وإدخال السرور عليهم في أفراحهم فيحضر

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٨٣.

(٢) سورة التوبة، آية ٧١.

(٣) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه-.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٤.

زواجاً ويبارك لأهله ويحضر وليمة خاصة له أو عامة لغيره فيفرح أهل الوليمة بحضوره، وفي المقابل كان حريصاً على مواساة الناس في أتراحهم يشاركهم آلامهم فتراه تارة يشيع جنازة وتارة يعزي أهل ميت وتارة يصبّر أهل مصاب وتارة يعود مريضاً فيرقيه ويدعو له وهكذا، ومع ذلك كله وغيره بارك الله تعالى في وقته فكم أسعد من أناس وكم صبّر من أناس وذلك بفضل الله تعالى ثم بصدق نيته وطيب طويته، ومن عظيم مشاركته مشاعر المسلمين آلامهم وآمالهم، هذا الخبر العجيب الذي أدخل به سروراً وأزاح به هماً.

(سأله أحد الطلاب ممن يدرسون في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكان قد رافقته زوجته معه للدراسة في الجامعة وكانت زوجته حاملاً فلما قرب موعد الوضع ضاقت الدنيا بهذا الطالب حيث لا يوجد لديه مال من أجل الوضع ولم يكن يسمح للأجانب في ذلك الوقت بمراجعة المستشفيات الحكومية والعلاج فيها فما كان من سماحته إلا أن أبرق إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز طالباً منه علاج طلاب منح الجامعات السعودية وزوجاتهم وأولادهم المرافقين لهم خلال مدة دراستهم بالمملكة في المستشفيات الحكومية فما كان من خادم الحرمين الشريفين إلا أن وافق على طلب سماحته فصدر الأمر السامي الكريم رقم ٢٦٤٧٨ بتاريخ ٢٩/ ٥ / ١٤٣٧هـ فجزى الله خادم الحرمين الشريفين خير الجزاء وأوفاه على استجابته لطلب سماحة المفتي ﷺ وكانت هذه الشفاعة فتحاً عظيماً لطلاب العلم من غير السعوديين سيبقى أثرها وأجرها لسماحته ولخادم الحرمين الشريفين رفع الله منزلتهما في عليين)[1].

وحدثني تركي العلي أحد طلاب سماحته فقال: [جاءت أرملة أمّ أيتام لتكلمه فلم تستطع، فكلمت سائقه (جلال) فأخذ رقم هاتفها، ثم اتصل بها

(١) ومضات من سيرة سماحة المفتي، ص٨٣-٨٤، تأليف د/ هشام آل الشيخ.

الشيخ بعد ذلك فشرحت له ظروفها، فطلب سماحته حضورها، فقالت: أنا من الأحساء ولا أملك مالاً، فقال لها: تعالي وأنا أدفع لك قيمة تكاليف السفر، فلما حضرت أعطاها خمسة آلاف (٥٠٠٠) ريال وأصبحت يتعاهدها بين وقت وآخر وفي كل مرة يعطيها خمسة آلاف ريال].

وحدثني وكتب إليَّ الشيخ الكريم رياض بو قرة العمري الجزائري فقال: (أخبرني صديق لي من الجزائر لما كان طالباً في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية قبل قرابة ربع قرن، حيث كان مع صديقه وهو طالب بالجامعة كذلك في أيام الحج، وقد وكّلهم بعض حجاج بلدهم بدفع مستحقات الهدي، وقد استلموا من هؤلاء الحجاج مبلغ الهدي حينها، وبينما هم في مناسك الحج محرمون، ضاع منهم أثناء الزحام مبلغ الهدي الذي قد وكلهم به حجاج بلدهم، فاستفتوا وقتها بمكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وكان المفتي العام للمملكة العربية السعودية، فأفتاهم ﷺ وغفر له، بضمان مبلغ الهدي بسبب تفريطهم في حفظه، وأخبروه أنهم طلبة ولا قدرة لهم عن تعويض ذلك المبلغ، وكان آنذاك مبلغا معتبراً لمثلهم، فلم يسقط عنهم الضمان، ثم استدعاهم المفتي عبدالعزيز ﷺ واستفسر منهم، ثم دفع لهم قيمة الهدي الذي ضاع منهم).

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (كان سماحته في زيارة للكشف والعلاج لإحدى قدمية في مستشفى التخصصي بالرياض وكان يعاني من ألم بها وأثناء توجهنا للعيادة داخل المستشفى، كان سماحته يأمرني بعدم منع أي شخص للسلام عليه أو سؤاله، فلما دخلنا جاء أحد المراجعين بالمستشفى وسلم على سماحته، وقال: اقرأ عليَّ يا سماحة الوالد. فلم يعتذر منه وقام برقيته، وجاء ثان ثم ثالث وما زالوا وعندما رأيت عدداً من المراجعين يرغبون بذلك أبلغت سماحته واستأذنته أن نتجه للعيادة ونعتذر للمراجعين لعدم إرهاق سماحته ووافق ووعدناهم خيراً).

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (أنَّ امرأة من دولة عربية حضرت إلى مبنى رئاسة الإفتاء تطلب المساعدة من سماحة الشيخ وتطلب الأمان حيث انها خلعت من زوجها في ذلك اليوم من المحكمة ومعها طفل وأن زوجها هددها بالإيذاء الجسدي لها وسحب طفلها منها تأثر سماحته وأمرني أن أساعدها بإبلاغ الجهات المختصة وأن أُطلعه على ما تم لها من أمان، وفعلاً تم إبلاغ مركز هيئة الأمر بالمعروف. لمرافقتها آمنه مطمئنة للشئون الاجتماعية بموجب خطاب وأمرني بالإتصال بالشئون الاجتماعية بتوجيه سماحته والتنسيق لإيواء الوافدة هي وطفلها والقيام بإجراء حمايتها وطفلها وأخذ تعهد على طليقها بعدم التعرض. وفعلاً قامت فرقة الهيئة والشؤون الاجتماعية بالواجب وتم إحاطة سماحته بذلك، رحم الله تعالى سماحته).

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (أن أحد الإخوة العمال من دولة عربية كان عاملاً بأحد المحلات القريبة من الجامع وكان محباً لدروس الشيخ في الجامع، ويحضر باستمرار، وفي أثناء مجيئه لأحد الدروس حضر للجامع وليس معه هويته النظامية، لكن تم إيقافه في النقطة الأمنية للتأكد من هويته الشخصية، وبلغ ذلك سماحته فطلب مني التوجه شخصياً والتعريف به وإحضاره للدرس، وشكر رجال الأمن لقيامهم بالواجب وتم إخراجه من التوقيف، رحم الله تعالى سماحته).

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (من مرافقتي لسماحة الشيخ ابن باز ﷺ والشيخ ابن عثيمين ﷺ بالرياض وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، كان المرضى النفسيون يتعلقون بحبهم وطلب المساعدة دوماً منهم، ويصدر منهم إيذاء لهم، وكانوا لا يمنعوهم بل يرحموهم ويعطفون عليهم ويمنحوهم المساعدة المالية، مع تكرار عودتهم وطلبهم المساعدة وفي أحد المواقف كان هناك شخص يحضر باستمرار والشيخ يمنعني أن أردَّ أحداً،

وكنت أراقبه عن كثب لكي لايصدر منه أي إيذاء لسماحته، فأعطاه الشيخ مبلغاً مالياً في مكتبه بالافتاء فطلب ذلك الشخص زيادة، حينها استئذنت سماحته أن أطلب من هذا الشخص الخروج، فوافق وطلب أن يكون بلطف ورحمة، وحينما خرج الشخص قال لي سأقتلك وبصوت مرتفع وطلبت من رجال الأمن مرافقته لمكتبي وأن يعطوه القهوة، وانتظرت سماحته نهاية الدوام وقلت له لو سلمناه لجهة الأختصاص ليسلموه لأهله ويحافظوا عليه فضحك سماحته وقال هو محتاج ولا يوجد له دخل مالي مسكين أعطه ألف ريال وخذها من المكتب الخاص، واجعله يذهب بلطف، رحم الله تعالى شيخنا رحمة واسعة).

عنايته وحرصه على طلابه

(أرسل إليَّ الشيخ الكريم ناصر بن عبدالرحمن آل حمود -حفظه الله تعالى- وهو من كبار طلاب سماحته) رسائل تضمّنت أخباراً عن عناية الشيخ وحرصه على طلابه فمن ذلك:

- يسأل عن الغائب منهم وسبب غيابه.
- إذا قدم ذلك الغائب سأله عن غيابه من باب الاطمئنان عليه فإن أخبره الطالب بأنه مسافر، آنسه بالسؤال عن سفره وعن تسهّل الأمور عليه.
- إذا أخطأ الطالب في قرأته رد عليه فإذا تكرر الخطأ مرة أخرى دعا له بقوله: (اللهم أهدِ قلبه اللهم أهدِه).
- إذا شعر أنَّ أحد الطلاب عليه تعب أثناء الدرس، سأله عن حاله وصحته واطمئن عليه.
- يشكر من أهداه هدية ويثني عليه إذا قابله ويثني على هديته.

وحدثني الشيخ ناصر أيضاً فذكر أن أحد طلاب الشيخ من غير السعوديين، سأله سماحته عن والدته فاخبره أنها ستسافر إلى بلادهم، فطلب منه سماحته أن

يأتيه من الغد فأتى الطالب فأعطاه الشيخ ظرفاً فيه مبلغ من النقود، وقال له: أعطه والدتك وبلغها سلامي ودعى لها.

ذكر لي الأخ تركي العلي أحد طلاب سماحته: أنهم انتظروا الشيخ في حلقة الدرس فتأخر قليلاً ولما جاء أخبرهم بتأجيل الدرس وطلب منهم مرافقته لحضور حفلٍ لتحفيظ القرآن الكريم، قال: فلما حضرنا اجلسونا في الصف الأمامي بقربِ الشيخ ولما حضر العشاء طلب الشيخ أن نكون معه وكان هذا الموقف مؤثراً في نفسي لتواضع الشيخ وعنايته بطلابه.

وحدثني تركي العلي أيضاً فقال: حضرت درس سماحته أربع أو خمس سنوات وكان زملائي يقرأون واحداً بعد الآخر فلما جاء دوري اعتذرت لإن القراءة تثقل عليَّ وأتلعثم فيها لكن الشيخ طلب مني القراءة فاعتذرت فأصرَّ سماحته على سماع قراءتي فقرأت والشيخ يُعلّق واستمررت في القراءة عليه طيلة تلك السنوات.

ومن إكرامه لطلابه أيضاً كتب إلي الشيخ عبدالله بن صالح المبارك -حفظه الله تعالى-:(كان من عادة سماحته -رحمه الله تعالى- أن يقوم بدعوة طلاب الدفعة كاملة التي يدرسها للعشاء في بيته وأذكر أن دفعتنا دعاها للعشاء مرتين في منزله العامر ولا أعلم أن أحداً يفعل ذلك مع طلابه سوى سماحته وهذا يدل على كرمه وجوده -رحمه الله تعالى-).

❁ خُلُقُه مع طلابه:

قال الدكتور عبدالعزيز بن مداوي -حفظه الله تعالى-: (وأذكر موقفاً أن سماحته عندما كان يدرسنا في القاعة أورد أحد أحاديث الترغيب والترهيب في سياق موعظة للطلاب، فقام أحد الطلاب ممن يذكر عنه أنه يحفظ الأحاديث فرد على سماحته مضعّفاً للحديث المذكور وبدأ يسوق أقوال من ضعفه من

المحدثين، واستطرد في ذلك بدون استئذان بأسلوب غير مناسب فيه نوع من تعجل الشباب وحماسهم، فما كان من سماحته ﷺ إلا أن رد بلطف وأكمل حديثه وكأن شيئاً لم يكن).

❁ وفاؤه لطلابه بعد موتهم:

قال الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن مداوي: (ومن أبرز المواقف التي تدل على محبته لطلابه وتعظيمه لقدر العلم وأهله حضرت جنازة الشيخ العالم في عام ١٤٢٥هـ عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم أحد أساتذة المعهد العالي للقضاء، فصلى على الجنازة وحضر الدفن، ورأيته واقفاً عند قبر الشيخ عبدالسلام يشارك في دفنه بحثو التراب، ثم وقف على قبره بعد الدفن يدعو للشيخ عبدالسلام، وسمعته في ذلك الموقف يذكر جهود الشيخ العلمية ويثني عليه خيراً، وأنه كانت له جهود واهتمام في تراث أئمة الدعوة النجدية).

تواضعه -رحمه الله تعالى-

يكاد الملازم لسماحته يجزم أنّ سماحته مجبولٌ على خُلُقِ التواضع، وليس ذلك ببعيد فأخبار سماحته -رحمه الله تعالى- مع جميع الناس تدلُّ بل تؤكِّد أنَّ تواضعه جبليٌ و ليس كسبيًّاً، وأسأل الله تعالى أن يكون له حظٌ من قول النبي ﷺ: لأشَجِّ عبدِ القيسِ: [إنَّ فيك خَصلتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ: الحِلمُ والأَناةُ، قال يا رسولَ اللهِ: أنا أتخلَّقُ بهما أم اللهُ جَبَلَني عليهما؟ قال: بلِ اللهُ جَبَلَك عليهما، قال: الحمدُ للهِ الذي جَبَلَني على خَلَّتيْنِ يُحبُّهُما اللهُ ورسولُهُ][1]. فما أطيب تواضعه -رحمه الله تعالى-، وما أحسن قول الشاعر إذْ يقول:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ

على طبقـــات الماء وهـــو رفيع

(١) رواه مسلم وأبو داود وهذا لفظه.

وأحسن من قول الشاعر وأطيب وأفضل قول النبي ﷺ: [... وما تواضعَ أحدٌ للَّهِ إلَّا رفعَهُ اللَّهُ][1]، وقال ﷺ: [إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتى لا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ][2]. وسماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- مع رفيع وتعدّد مناصبه الوظيفية ومكانة أسرته، مع هذا كله وغيره، أحسب أنَّه جُبِلَ على التواضع، بل لو قيل: إنَّ تواضعه لو قُسِّم على غير واحد لكفاهم. لم يكن ذلك بعيداً عن الصواب، فقد كان -رحمه الله تعالى- آية في التواضع القولي بطيب الكلام والنصح وطيب الدعوات، وفي التواضع الفعلي في سمته وحسن إنصاته.

❁ ومن شواهد تواضعه -رحمه الله تعالى-:

- يرفعُ المنصبَ، لا يرفعه المنصبُ: كثير من الناس ترفعهم وتُشَرّفهم المناصب الوظيفية والشهادات الأكاديمية والرُّتب العسكرية وقد يترفَّع بذلك على الآخرين، وهذا أمرٌ مشاهدٌ ومسموع، لكن قليلاً من الناس يرفعون المناصب والشهادات والرتب ويشرّفونها، بتواضعهم وحسن أخلاقهم ومحبة الخير للغير، وأحسب أن سماحة الشيخ عبدالعزيز من أولئك وأُشهد الله تعالى إني عرفته وعرفه غيري مدرساً ثم خطيباً في عرفة ثم نائباً لسماحة الشيخ بن باز -رحمه الله تعالى- ثم مفتياً عاماً ناهيكم عن ترؤسه لمجالس وهيئات ومناصب شرفية وفخرية ومع ذلك كله لم تتغيّر أخلاقه بل تغيرت إلى أحسن وهذا من فضل الله تعالى، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومما ينبغي التنبيه عليه والعَجَبُ منه في هذا المقام أنه -رحمه الله تعالى- مع تلك المناصب والمشاعر بقي قلبه معلقاً بالمسجد مع كثرة التلاوة ومحبة العلم وهذا الأمر والذي

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-.
(٢) أخرجه مسلم عن عياض بن حمار -رضي الله تعالى عنه-.

قبله من بوادر توفيق الله تعالى له، الله تعالى أسأل أن يرفع درجاته ومنزلته في جنات النعيم . اللهم أعنَّا جميعاً على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

- لم أسمع منه أو عنه أنه مدح نفسه أو أثنى على شيء من جهوده العلمية بل قد قلت له غير مرة: إن خطبكم في عرفة أو في جامع الإمام تركي أثنى عليها الكثير وكان بعضهم يوصي بسماعها، فكان يستغفر الله تعالى.
- لاحظت في سماحته أمراً، يؤكِّد تواضعه وأحسب أنه من علامات الإخلاص والحرص على خبيئة العمل، وأعني بذلك البعد عن التحدّث بضمير المتكلم، لا بضمير الجمع (نحن، سمعنا، فعلنا) ولا بضمير المفرد: (أنا، سمعتُ، فعلتُ). إلا إذا دعت حاجة وترجّحت مصلحة.
- من رأى تعامله مع طلابه وأقرانه ناهيك عن مشائخه علِم أنّ تواضع هذا الشيخ -فيما يظهر- خُلُقٌ جبلّيٌ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.
- من أمثلة تواضعه العظيمة ذِكْرُهُ بل شكره لمن أفاده والدعاء له والثناء عليه حتى ولو كان من أصغر طلابه، بل ويذكر ذلك لجلسائه وهذه الخصال لا يقوى عليها إلا الصادقون المتواضعون صدقاً لا تصنُّعاً، جعل الله تعالى سماحته منهم.
- ومن عجيب تواضعه وطيب قلبه ومحبته للخير ما حدثني به الشيخ خالد السليمان -حفظه الله تعالى- وهو أحد المقربين عند سماحته وعديل ابنه الشيخ عبدالله، فقد ذكر لي أن امرأة اتصلت بسماحته وذكرت له أن ابنها كان عازماً على الحج لكن حدث له أمر فمات قبل أن يحج وكان حريصاً على الحج فطلب سماحته من تلك المرأة أن تذكر له اسم ابنها ثم قام سماحته بالحج عنه.
- ومن تواضعه الجمّ بُعدُهُ عن الألقاب والتفخيم لنفسه ومن لطائف ما

يروي في ذلك ما ذكره الدكتور هشام بن عبدالملك -حفظه الله تعالى-: (أنَّ سماحته اتصل على أحد المسؤولين بنفسه فرد عليه السكرتير وطلب منه التعريف بنفسه فقال عبدالعزيز بن الشيخ فاعتذر منه السكرتير بلباقة بأن المسؤول مشغول ولعلك تتواصل معه في وقت آخر فأخذت الهاتف من سماحة الشيخ فقلت للسكرتير أن المتصل سماح المفتي فما كان منه إلا أن اعتذر وأحال المكالمة مباشرة)[1].

- ومن صور تواضعه على ما سبق من بُعده عن الألقاب ما قاله أحد تلاميذه: (اتصل بي رجل هاتفياً بعد فجر أحد الأيام، فقلت: من أنت؟ فقال: صاحبك! فقلت: من صاحبي؟ فقال: عبدالعزيز، فقلتُ: من عبدالعزيز؟ فقال: بن عبدالله! فقلت: من أنت؟ فقال: عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، قال تلميذه: فوقعتُ في حرجٍ شديد، وبالغتُ في الاعتذار وطلب السماح، وأني لم أعرفك يا سماحةَ الشيخ، قال: فدعا لي ثم سألني عن أهلي وحالي، ثم طلب مني اقتراح موضوعٍ مناسبٍ لخطبة عرفة ثم كتابة عناصر ذلك الموضوع والمجيء إلى منزل سماحته لقراءتها عليه، فرشحت له موضوعاً وكتبت عناصره ثم ذهبت إلى منزله وقرأتها عليه فاستحسنها ثم خطب بها يوم عرفة، يقول ذلك التلميذ: ولقد ذهلتُ وتعجبتُ من استحضار سماحته للأدلة وسرعة سردها دون تلعثم أو تردد، -رحمه الله تعالى- وأكرم مثواه).
- ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (أبلغني سماحته أنه متجه مساءً لمبنى التلفزيون بالرياض للقاء تلفزيوني بالقناة الثانية وفعلاً حرك الموكب الخاص بسماحته لمبنى التلفزيون وحينما وصلنا الموكل للبوابة، اتجه أحد أفراد حراسة مبنى التلفزيون لسماحته، وقال: أعتذر منك يا

(١) ومضات من سيرة سماحة المفتي، ص٧٩-٨٠.

والدي لم أُبلّغ بحضورك، ولم يصدر تصريح دخول، وأعذرني يا والدي لا أستطيع إدخال موكبكم لمبنى التلفزيون فالإجراءات شديدة، وحينما أردت أن أُجري اتصال لمعالجة الوضع، طلب مني سماحته أن أتوقف، وقال لي: هو صادق ويقوم بواجبه الأمني ولا يقصد غير ذلك والخطأ من الإدارة لأنها لم تبلغه، وطلب مني توجيه الموكب للجامع وعدم إبلاغ مرجع العسكري، بأي ملاحظه، بل إن سماحته شكر العسكري، بعد ذلك اتجهنا مباشره للجامع الكبير بالرياض. واعتذر مدير القناة الثانية لسماحته وحضر طاقم التصوير لإستراحة سماحته بالجامع وتم اللقاء، رحم الله تعالى سماحته).

- ومن تواضعه ولين جانبه عفوه عن من أخطأ عليه، ومما شاهدته بنفسي أنني دخلت مرة محل إصلاح الهاتف الجوال وكنت أعرف صاحبه وفي أثناء إصلاح الجوال خرجت صورة سماحته في شاشة القناة الموجودة في المحل فقال صاحب المحل كلاماً فيه طعنٌ في سماحته فأعانني الله تعالى على الإنكار عليه فزجرته وقلت له كلاماً مفاده: إن هذا الشيخ الذي تكلمت فيه مع مكانته العلمية والاجتماعية ربما يكون الآن في صلاة وتهجد ودعاء، وحذرته من عاقبة كلامه وطلبت منه عدم إصلاح الجوال وأخذته منه، فلحظت عليه قلقاً وفقه الله تعالى، فألحَّ بالبقاء فجلست، فقال متأثراً وأحسب أنه صادق، كيف تبرأ ذمتي من كلامي، فقلت له: بالإستغفار وعدم العودة إلى مثل ذلك والندم على ما حدث، فلم تطب نفسه بهذا، لأنه أراد أن يضمن عفو الشيخ عنه وأخبرني أنه سيذهب غداً لسماحة الشيخ، فقلت له إذا ذهبت إليه فأخبرني بالذي حصل بينك وبينه، فأخبرني من الغد أنه ذهب لسماحته وأخبره عن كلامه فيه فكان سماحته يدعو له بل يكرر الدعاء له كلما ذكر جملة من طعنه فيه، فأثَّرَ الموقف في

ذلك الرجل تأثيراً بليغاً وأحسب أن ذلك بعد توفيق الله تعالى له من صدق نية الشيخ وطيبته وصادق تواضعه -رحمه الله تعالى-.

وليس حليماً مـــن تُقَبَّـــلُ كَفُّهُ

فيرضى ولكن مـــن تُعَضُّ فيَحْلُمُ[١]

وهذا الموقف من سماحته موقف يُحبُّهُ الله تعالى ويُعِزُّ به عبده ويرفعه به، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: [ما زاد الله عبداً بعفو إلا عِزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله][٢].

مروءة سماحته في حفظ المعروف لأهله

عن عبدالله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- قال :قال رسول الله ﷺ: [... ومن صَنَع إليكم معروفاً فكافِئوه، فإنْ لم تَجِدوا ما تكافِئونَه فادْعُوا له حتى تَرَوا أنَّكم قد كافَأْتُموه][٣]. حفظ المعروف لصاحبه من المروءة وأشهد أن سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- صاحب مروءة يحفظ المعروف لأهله ولا يكابر في ذلك، كحال بعض الناس الذين يتثاقلون ويشقُّ عليهم أن يذكروا معروف غيرهم عليهم لزعمهم أنَّ ذلك يقلّل من مكانتهم وينقص من منزلتهم أمام الآخرين وهذا ضعف إيمان ونقص عقل، ويستقبح هذا من العقلاء ويزيد قبحاً إذا كان ذلك من أهل العلم لأن العلم والدين يمنع ذلك بل يحث على خلافه كما جاء في النصوص ومنها ما سبق في الحديث المتقدم آنفاً، وعوداً على بدء من أنَّ سماحته كان ذا مروءة يحفظ المعروف لأهله، وأكتفي في هذا المقام بخبرين:

---

(١) البيت لابن المغربي.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه أبو داود.

- **الخبر الأول**: ذكره سماحته غير مرة خبراً وخلاصته أن سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- كان يحثه على الزواج في شبابه بل عرض عليه التكفل بدفع المهر فاعتذر منه وشكره وكان يقول ويُصَرّح بأن للشيخ ابن باز معروفاً وفضلاً عليه، وهنا لا أدري من أيهما أعجب! من محبة الشيخ ابن باز للشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وحرصه عليه أو من تواضع الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وذكر معروف الشيخ ابن باز عليه وشكره له جمعنا الله تعالى بهم في جنات النعيم.
- **الخبر الثاني**: حدثني به الشيخ ثنيان بن عبدالرحمن الثنيان في منزله وحضور بعض إخوانه ومنهم الدكتور عبدالعزيز وبعض أبنائهم، وخلاصة ما ذكر لي أنه كان زميلاً لسماحة المفتي أثناء الدراسة وكان يقرأ على سماحة الشيخ بعض ما يحتاجون من الكتب للدراسة، ومن باب مكافأة صاحب المعروف دفع الشيخُ الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ للشيخ ثنيان مبلغاً من المال يعتبر كبيراً ذلك الوقت فردّه الشيخ ثنيان وأبى أن يأخذ شيئاً من ذاك المبلغ وأخبره سماحته أنهم زملاء وأن قرأته عليه محبة له واحتساباً للأجر، هذا خلاصة الخبر وسيأتي الشاهد منه، زاد ذلك الخبر تأكيداً ابنه الدكتور عبدالله بن ثنيان آل ثنيان وكيل وزارة الداخلية للأحوال الشخصية سابقاً ومدير المعهد العالي وكان حاضراً في المجلس بل ذكر الدكتور عبدالله -حفظه الله تعالى- أنه دخل بوالده الشيخ ثنيان على سماحة المفتي في مجلسه وعنده بعض الناس فلمّا علِم سماحة الشيخ بدخول الشيخ ثنيان أثنى عليه أمام الجميع وقال: بأنه صاحب معروف عليه، إلى آخر ما ذكر الدكتور عبدالله رحم الله سماحة الشيخ عبدالعزيز وضاعف الأجر للشيخ ثنيان وألبسه ثوب الصحة والعافية، وصدق الشاعر إذ يقول:

وإذا كانـــت النفـــوس كبارا
تعبت في مرادها الأجســـام[1]

عزو الفضل لأهله

كان سماحته -رحمه الله تعالى- يستحضر كثيراً من كلام شيخ الاسلام بن تيمية في مواضع المسائل التي تُقرأ عليه، وقد سأله أحد تلاميذه عن طريقة وصوله إلى هذا التمكّن من الإستحضار!؟ فأجاب بقوله: (من قراءة الشيخ عبدالله بن جبرين -رحمه اللّه تعالى-). وقد طلب سماحته من الشيخ ابن جبرين قراءة مجموع فتاوى شيخ الاسلام فقرأه عليه كله.

تميزه وتمكُّنه من سرعة استحضار الشواهد من القرآن الكريم

وحسب علمي ومعرفتي أن أكثر وأقدر مشائخي على انتزاع واستحضار الشواهد من القرآن الكريم شيخان اثنان، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وسماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ جعل الله تعالى الفردوس الأعلى مثوى جميع مشائخي وأذكر هنا شاهداً لكل واحد من الشيخين:

- سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- تعالى قدّمت له لقاءً مفتوحاً، وكان عنوان اللقاء حول (التغيرات الكونية وزيادتها للإيمان)، فقرأت ضمن المقدمة ثمانية أدلة مكتوبة في ورقة معي، فلما تكلم سماحة الشيخ ذكر ستة عشر (١٦) دليلاً في الموضوع نفسه ثم أخذ في الشرح والتعليق.
- سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ خطب خطبة جمعة عن الجنة وصفاتها فذكر قرابة خمساً وستين (٦٥) آية. ومما ينبغي ملاحظته في هذين المثالين

(١) البيت للمتنبي.

أن وقت الشيخين كان محدوداً، الأول على كرسي المحاضرة والثاني على منبر الجمعة، ومع هذا كله فتح الله عليهما من استحضار الأدلة ما يُغبطون عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم شاهد المقال أنّ من استمع إلى محاضراتهم وكلماتهم وفتاواهم أو قرأ في مصنفاتهم رأى مصداق ذلك -رحمة الله تعالى عليهما- وعلى جميع المشائخ.

خطيب عرفة

أحسب أن هذا اللقب أو الوصف ينطبق على سماحته إنطباقاً تاماً وهو أهل له وجدير به فبينه وبين منبر عرفه وشائج قربى علمية وصلة رحم وعظية، يؤكد ذلك ويوضحه أمور:

- **الأول**: مما أكرم الله تعالى به سماحته: أمرٌ تفرَّد به عن جميع من سبق من المسلمين عموماً وعن خطباء عرفة خصوصاً، وأعني بذلك منبر عرفة فقد ارتقى سماحته منبر عرفة خمساً وثلاثين سنة (٣٥) ولم يحصل هذا لأحد قبله -حسب علمي- وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وقد ابتدأ في في عرفة ١٤٠٢هـ إلى عام ١٤٣٦هـ.
- **الثاني**: ارتباط خطبة عرفة باسمه وشخصه في نفوس الناس مع محبة الناس لخطبته واعتيادهم على سماعها في كل حج.
- **الثالث**: مع كثرة من خطب بعده على ذلك المنبر إلا أن نبرات صوته كانت ولا زالت تحِنُّ إليها النفوس والآذان.
- **الرابع**: تميز خطبة بتعظيم التوحيد والدعوة له والدفاع عنه مع عنايته الفائقة المشفقة على مجتمعات المسلمين وترغيبهم فيما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم مع الدعاء للمسلمين ولولاة أمورهم عموماً ولولاة الأمر في بلادنا والقائمين على الحج خصوصاً.

- **الخامس**: ومما ينبغي ذكره هنا أن ارتباط سماحته بخطبة عرفة ومنبر نمرة ليس مألوفاً عندنا في المملكة فحسب بل أصبح ذلك التزاماً معروفاً مشهوراً في العالم الإسلامي تعوّد عليه المسلمون وأصبحوا ينتظرون شخصه وخطبته وإليك شاهداً واحداً على ذلك.

كتب إليَّ الشيخ الكريم راشد بن عبدالرحمن سرير حاج أحد الأفاضل من أهل العلم من دولة الجزائر وهو مقيم بالمدينة النبوية قال -حفظه الله تعالى- في كتابته ما نصه: [(سماحة المفتي في البيوت الجزائرية) رحل عنا سماحة المفتي عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وما زال صوته حياً في ذاكرة الجزائريين ما زال صوته يدوي في أرجاء تلك الذاكرة بعد وفاته كما كان يدوي في أرجاء بيوتهم حال حياته فمنذ أن عقلنا وفي يوم عرفة من كل عام كانت التلفزيون الرسمي الجزائري وفق الله القائمين عليه لكل خير يبث خطبة عرفة بثاً حياً مباشراً حتى أصبحت القلوب تشتاق إلى موعد بث خطبته وتشرئب النفوس لرؤية إطلالته البهية وتستعد الآذان لتلقي توجيهاته ونصائحه التي يشعر سامعها أنها نابعة من قلب رحيم حريص على الخير لأمته فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأعلى مقامه في الفردوس الأعلى من الجنة] انتهى كتاب الشيخ راشد أثابه الله تعالى.

مما حصل له من النوادر

- صلى خلفه خمسة ملوك فيصل وخالد وفهد وعبد الله -رحمهم الله تعالى- والملك سلمان -حفظه الله تعالى-.
- صلى خلفه مشائخه وزملاؤه وطلابه وطلاب طلابه.
- صعد منبر عرفة أربعاً وثلاثين (٣٤) سنة.
- زامل شيوخه في التعليم والعمل وزامله طلابه.

- درَّس وعلّم في الحرمين وفي المعهد والجامعة والجامع والمنزل.
- أقرَّ الله تعالى عيني والدته بتحقق دعوتها في قيامه بالإمامة والخطابة في الجامع الكبير بل زاده الله من فضله بنبوغه العلمي وما حصل له من الترفُّع الوظيفي حتى وصل إلى منصب المفتي العام للمملكة العربية السعودية.
- من أعظم أئمة المساجد في محافظته على الإمامة والتعلّق بالمسجد مع كثرة مشاغله وبُعد منزله عن المسجد، ومع ذلك عُرِف عنه ضبط ذلك والمحافظة عليه، وأحسب أنَّ ذلك من بوادر توفيق الله تعالى له لصدق نيته و طيب طويته فبارك الله تعالى له في وقته.
- المحبة والقبول العظيم له عند الناس وظهر ذلك جليَّاً بعد موته -رحمه الله تعالى-.
- حج عن بعض العلماء المتقدمين، مثل ابن رجب والمنذري والخرقي وابن حزم وابن عبد البر.
- قوة وسرعة استحضاره للشواهد القرآنية. ومن شواهد ذلك في إحدى خطب الجمعة تحدّث عن الجنة وصفاتها وذكر فيها أكثر من ستين شاهداً من القرآن الكريم.

سماحةُ سماحتِه

أشهد بهذا في شخصه الكريم ويشهد به من عرفه، فقد كان -رحمه الله تعالى- سمحاً في أقواله وأفعاله وجميع شأنه، واللهَ تعالى أسأل أن يكون مشمولاً بقول النبي ﷺ: [رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى][1] والسماحة محمودة في الشرع في جميع الأحوال، والصور الأربع الواردة في الحديث هي الغالبة في أحوال الناس.

(١) أخرجه البخاري.

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (قال أما عن مرافقتي الخاصة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ عرفتُ منه الطيبَ والكرم والتواضع ورأفته بالغير وحبه لمساعدة الناس وشفاعته لهم في أمور التعليم والعلاج وجميع مايستطيع، كان سماحته يطلب مني دوماً أن أتعامل بلطف ورحمة مع الجميع وخاصة الفقراء والمحتاجين وذوي الهمم وكان لطيفاً جداً مع مرافقيه، ينظر عن كثب لاحتياجاتهم ويخاطب الجهات ذات العلاقة بشفاعته الكريمة).

شاهد المقال، سأكتفي بشاهد واحد في هذا المقام، حدثني به فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله بن عمر آل الشيخ -حفظه الله تعالى- عن سماحة سماحته فقد ذكر أن الدكتور عبدالعزيز بن إسماعيل صاحب القراءات قال كنا مستأجرين في عمارة الشيخ في دخنة والإيجار يحل علينا قبل الإجازة الطويلة وعندما نذهب بمبلغ الإيجار إلى سماحة الشيخ لنسلمه له كان الشيخ يقول لنا: أنتم على سفر وتحتاجون هذا المال فاجعلوه معكم وإذا رجعتم بالسلامة يكونوا لنا حديث، ويقول الدكتور عبدالعزيز لا أذكر أنه سألنا عن مبلغ الإيجار، لم يقل لنا مرة: لماذا لم تدفعوا؟ أو لماذا تأخرتم؟.

ومما كتبه لي الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (في إحدى محافظات الرياض توجهنا بموكب سماحته لمناسبة خاصة، وبعد تناول الغداء تم دعوة الشيخ لمركز هيئة الأمر بالمعروف في تلك المحافظة لشرب القهوة واطلاع سماحته على أنشطتهم، وأثناء تواجدنا بالمركز حضر رجل كبير في السن وطلب لقاء سماحته والسلام عليه داخل المركز ووافق الشيخ وأثناء السلام عليه قال الرجل المسن: ياليت تشرفني في مسكني يا شيخ لشرب القهوة، فأبتسم سماحته ووافق وعندما تحرك الموكب لمنزل هذا المسن داخل المحافظة، لم يعلم أهله بالمناسبة ولم يجهزوا القهوة ولم يكن في بيته من يقوم بذلك وانحرج

المسن فلم يظهر سماحته أي تضايق وشرب الماء وتحدث سماحته مع المسن وسأله عن أحواله وعن المحافظة وتوجهنا للرياض بعدها، -رحم الله تعالى- سماحته).

ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (عندما أصيب سماحته بكسر وتم تنويمه في مستشفى قوى الأمن بالرياض طلب مني أن نتواصل مع الطاقم الطبي بشأن وجوده في المستشفى وهل هو ضروري؟ فتمَّ إبلاغ سماحته أنه تحت الإشراف الطبي فقط وحالته مستقرة، ونظراً لوجود الكثيرين من محبيه لزيارته وأحدث ذلك التواجد الكثيف بعض التنظيم للسلام عليه، أمر سماحته أن ينقل إلى منزله بسريره الطبي ومرافق صحي ويراعي المرضى الموجودين بالمستشفى وخشيته من إيذاء أي مريض بسبب كثرة الراغبين لزيارته، وأن يكون اللقاء التلفزيوني في منزله، وألا يغلق باب منزله عن أحد وتم ذلك فعلاً -رحم الله تعالى- سماحته).

سهولة كلامه وعدم تكلفه في مفردات كلامه

وهذا من هدي نبينا ﷺ، كما قالت عائشة -رضي الله تعالى عنها-: (كانَ كلامُ النبي ﷺ كلاماً فَصلاً يفهمُهُ كلُّ من سمعَهُ).

ومن هذا الباب يُقال: كان كلام سماحته -رحمه الله تعالى- واضحاً في معانيه، يفهمه العامي والصغير والجاهل، فيستفيد منه الجميع، كلٌ بحسبه، وهذا منهج أهل العلم -عليهم رحمة الله تعالى- وخاصة في حديثهم مع الناس، ومما يحسن إيراده في هذا المقام قول الأصمعي عن أبي عمر بن العلاء، وهو من أئمة اللغة الكبار، قال الأصمعي: (كنت إذا سمعت أبا عمر بن العلاء يتكلم،

ظننته لا يعرف شيئاً كان يتكلم كلاماً سهلاً)[1] أما اختيار الألفاظ الغريبة وتتبع العبارات الغامضة التي يشكل معناها على كثير من طلبة العلم فضلاً عن عامتهم فإن كثيراً ممن يسمعها لا يستفيد من سماعها شيئاً بل قد تغيب الفائدة بسبب هذه الكلمات الغريبة، وقد يفتح ذلك الباب.

أعني: إيراد الكلمات الغريبة - باب عُجْبٍ على المتكلم، أما إذا كان موضوع الكلام في مباحث اللغة والبلاغة أو كان يتحدث أمام قوم يناسب التحدث معهم بذلك فهذا شأن آخر ذلك، إنما الشأن إذا كان الحديث مع عامة الناس.

وعوداً على بدء كان كلام سماحته سهلاً واضحاً للسائل والسامع، ومن لطيف ما قرأتُ عن هذا الأمر في سماحته، ما كتبه إليَّ الشيخ سعد بن عبدالعزيز أبوخليل -حفظه الله تعالى-، فقد قال في ضمن كتابه: (... يظهر أثره في هدوئه ووقاره وطريقة حديثه مع الناس. فقد كان محبًّا لتعليمهم، قريباً منهم، يختصر الفتوى ويقرّبها للعامة دون تعقيد.

ولا تزال عبارته المألوفة لديّ حين كان يعيد سؤال السائل في برنامج نور على الدرب ثم يجيب على السؤال بهدوئه المعتاد تترسخ في الذاكرة وكأنها تُعيد لحظات الوقوف بين يديه.

رحم الله الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ رحمة واسعة، فقد ترك أثراً علمياً وعملياً لا يُنسى، وبقيت مواقفه القريبة من قلوب الناس شاهدةً على عالمٍ رباني عاش مع العلم والعلماء...).

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤١٠.

محبته من رؤيته والأُنسُ به عند محادثته أو سماع حديثه

قال ﷺ: [أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكِر الله][١] وهذا الأمر أعني ذِكْرَ اللهِ عند رؤية بعض الناس، منحْ إلهيةٌ وعطايا ربانيةٌ يتفضل اللهُ بها على من شاء من عباده ولعل ذلك من عاجل بشرى أولئك، ومن شواهد ذلك قول يونس بن عبيد كان الرجل إذا نظر إلى الحسن البصري انتفع به وإن لم يسمع من كلامه ولم يرى من عمله[٢]، وكان عبدالرحمن بن ابان بن عثمان بن عفان كثير العبادة والتألّه، رآه علي بن عبدالله بن عباس فاعجبه نسكه وهديه فاقتدى به في الخير[٣]. وكان ابن سيرين إذا دخل السوق يقف أهل السوق عن البيع والشراء ويذكرون الله وكان الرجل ينتفع برؤية ابن قدامة صاحب المغني قبل أن يسمع منه[٤]. وقال جعفر الصادق إذا قسا قلبي ذهبت إلى المسجد الذي فيه محمد بن واسع فانظر إلى وجهه فقط فاجتهد أسبوعاً في طاعة الله من تلك النظرة، وقال رشأ بن نظيف: قد شاهدت سادات فما رأيت مثل أبي محمد بن أبي نصر، كان قُرَّة عين[٥].

وبعد سياق هذه الأمثلة أقول: أحسب أيضاً أن للشيخ عبدالعزيز نصيباً من ذلك ومن جالسه أو رأى سماحته حال صلاته أو أثناء ذِكره لله تعالى أو سماع تلاوته تأثَّر من رؤيته فكيف إذا سمع كلامه ونصائحه! فرحم الله سماحة الشيخ وجزاه عن بلادنا وبلاد المسلمين خيراً. ومما يحسن ذكره في هذا المقام أنني مرة وبعد الفراغ من ندوة الجامع وفي أثناء خروج سماحة الشيخ رأيت رجلاً

(١) اخرجه أبو نعيم والواحدي وغيرهما، انظر السلسلة الصحيحة رقم١٦٤٦-١٧٣٣.
(٢) البداية والنهاية.
(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠-١١.
(٤) تذكرة الحفاظ.
(٥) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٦٧.

من دولة غير عربية، وكانت ملابسة فخمة متميزة، مما يدلُّ على أنه له منصباً متميزاً إما وظيفي أو تجاري، الشاهد أنني رأيته وقد وقف بجانب إحدى سواري الجامع وهو ينظر إلى سماحة الشيخ، وقفت عنده وسلَّمتُ عليه وبعد حديثٍ معه، قلت له هل تفهم كل ما تسمع من الكلام العربي؟ فقال: قليلاً لكني أحرص على الحضور وقت هذه المحاضرة لأرى هذا الشيخ الجليل فرؤيتي له تزيدني إيماناً وخيراً.

إتقانه لعمله وحرصه عليه

قال ﷺ: [إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه][1]. لعل من أظهر الأمور في إتقان سماحته لعمله وحرصه عليه إمامته -رحمه الله تعالى- للجامع الكبير في الرياض (جامع الأمام تركي بن عبد الله).

فقد كان سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- حريصاً غاية الحرص على المواظبة على الإمامة في الجامع، ونادراً ما يتخلّف، فإن وقع تخلّف فلا بدَّ من عذرٍ يصعب أو يتعذّر بسببه الحضور، كسفر أو مرض وما شاكل ذلك. وقد قرأت لبعض محبيه وطلابه خبرين:

(الأول: أنه كان أحياناً لا يتيسر له حجز طيران يوم الأربعاء فكان يأتي من الطائف برَّاً، وكنا نرحمه جداً إذا رأينا أثر تعب السفر عليه، كل هذا من أجل أن لا يقصر في أمانة إمامة الجامع.

الثاني: أنه حين تأثر صوته صار فترة يذهب للجامع صلاة الفجر ويصلي مأموماً ثم يرجع إلى بيته، فقلت له: لم تشق على نفسك وأنت لن تصلي؟ فقال لي ما معناه: أنني آتي من أجل كأنني أقول هذه قدرتي يا ربي قد فعلتها.!!).

(١) رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى وصححه الألباني.

بعد هذا أقول: ياليت أولئك المقصرين في أداء الأمانة في إمامة المساجد ينظرون في سير هؤلاء الأماجد الأفاضل مع كثرة مشاغلهم وتقدم أعمارهم إلا أن أمر الأمانة في الإمامة لها شأن عظيم يتعبدون الله تعالى به.

وكتب إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (أنَّ سماحته إذا كان في انتداب الطائف السنوي، يحضر للرياض في العطلة الأسبوعية ليحضر المحاضرة في الجامع ويعلق عليها وفي أحد المرات اعتذر مطار الطائف لسماحته أنَّ الطائرة المقلَّة له تحتاج صيانة عدة ساعات فسأل الشيخ -رحمه الله تعالى- مرافقيه قائلاً لهم: كم يأخذ الطريق البري إلى الرياض وذلك حرصاً من سماحته ليحضر المحاضرة بالجامع، فلما أخبروه، طلب منهم المبادرة بالسفر فوراً للرياض، وتمَّ إبلاغي من معالي نائبه الشيخ فهد العواد أنهم سيأتون براً إلى الرياض، وتوجهت أنا وبعض الأفراد من الرياض للقاء سماحته على الطريق البري، والتقينا بسماحته بمنطقة حلبان وصلينا المغرب مع سماحته وتوجهنا إلى الرياض وصولاً للجامع الكبير ولله الحمد وشكرنا سماحته على ذلك، رحم الله سماحته).

ذكر مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام بالرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الأستاذ أحمد النجعي: (أن المفتي -رحمه الله تعالى- كان قائداً وإدارياً محنكاً، تعلّم الجميع منه الإخلاص والتفاني، وحب الوطن وقيادته، مبيناً أنه لم يتغيب أو يتأخر عن موعد وصوله للعمل طوال أكثر من أربعين عاماً، ولم يأخذ إجازة رسمية طيلة فترة عمله). وقال الشيخ فهد العماري: (لم يتخلَّف عن درسه في المعهد طيلة تدريسه لنا، مواظباً على الدرس دخولاً وانصرافاً ...) وقال الشيخ عبدالله بن صالح المبارك: من دقة سماحته في المواعيد وحرصه على الوقت، عندما كان يدرسنا في المعهد العالي للقضاء كانت محاضراته دائماً الأولى وكان يأتي قبل الوقت بنصف ساعة وأحياناً قبل الوقت بخمس وأربعين دقيقة.

حرصه على تطبيق السنّة

قال الشيخ عبدالله المبارك: صليت خلف سماحته صلاة خسوف فقرأ سورتي المائدة والأنعام وهذا إن دل فإنما يدل على حرصه على تطبيق السنة لأن الأصل أن يصلى حتى ينجلى الخسوف.

حدثني الشيخ الدكتور رياض السعيد -حفظه الله تعالى- أنه سأل سماحته عن قرائته سورة الأعراف في صلاة المغرب فأجابه سماحته (بأنه قرأها كاملةً في صلاة المغرب إماماً في جامع تركي بن عبدالله في التسعينات الهجرية).

من تورُّعه واحتياطه

حدثني ثم كتب إليَّ الدكتور محمد بن عبدالله العمار خبراً، جاء فيه ما نصه: (فقد تشرفت مغرب يوم الأحد الموافق ٢٠/ ٤/ ١٤٤٧هـ بزيارة معالي الشيخ/ عبدالله بن علي الركبان -حفظه الله- ونفع به، في منزله للسلام عليه، بوجود جمعٍ من أهل العلم والفضل؛ وقد أخبرته أني من طلابه في كلية الشريعة عام ١٤١٤هـ، فرحّب بي، ورأيت منه البشاشة والبساطة والتواضع، وقد جرى الحديث مع معاليه عن بعض الأمور والمسائل العلمية. وكان من ضمن الحديث أن قلت له: إنكم زاملتم سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ﷾ في التدريس في معهد إمام الدعوة، فقال: نعم زاملته في التدريس في معهد إمام الدعوة، وزاملته أيضاً في التدريس في كلية الشريعة، وفي الإفتاء. وقد أثنى على سماحة المفتي كثيراً، وذكر شيئاً من أخلاقه ومحاسنه. وكان مما ذكر لنا من المواقف: أنه حين كان رئيساً لقسم الفقه، احتاج القسم لسد بعض المحاضرات في الكلية، فكلمنا سماحة المفتي وكان حينها عضواً في الإفتاء، فوافق، وقال لنا: اجعلوا المحاضرة في أول الصباح؛ حتى يتسنى لي الذهاب

للإفتاء بعدها مباشرة. وهذا ما حصل؛ وأتم سماحته تدريس هذه المحاضرة إلى نهاية الفصل، وكان من عادته إذا جاء للكلية أن يمر علي في المكتب للسلام والحديث، وهذا من تواضعه وكريم أخلاقه، ولما انتهى الفصل وجاءني سماحة الشيخ في المكتب، وكان الموظفون في شؤون المحاسبة في الكلية قد أعدوا مستحقات سماحته عوضاً عن تدريس هذه المحاضرة شيكاً بمبلغ ٢٠.٠٠٠ (عشرين ألف) ريال؛ فسلمته الشيك، فقال: ما هذا؟ فقلت: هذه مستحقات لك مقابل المحاضرة التي درستموها، فقال: أنا لا أستحق هذا المبلغ، فقلت: بلى هو عوض عن المحاضرة التي ألقيتها، فقال: أنا أتأخر عن الدوام في الإفتاء، وهذه المحاضرة عوض عن التأخر، ولا أستحق هذا المبلغ، فألححت عليه كثيراً بأخذه وقلت: المبلغ صدر لكم، ولا يمكن إرجاعه؛ فرفض، وأمر أن يصرف المبلغ لصالح صندوق الطالب؛ -رحمه الله تعالى- ورفع درجاته في عليين. وقد ذكر معالي الشيخ الركبان أن سماحة المفتي -رحمه الله تعالى- كان شديد الورع فيما يتعلق بالأمور المالية في مواقف كثيرة؛ وهذا أحد المواقف. رحم الله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وغفر له وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته في عليين وأخلف على المسلمين خيراً، وبارك في معالي الشيخ عبدالله الركبان وجميع علمائنا الربانيين).

ونقل بعضهم أنّ الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن محمد السدحان عميد كلية الشريعة -رحمه الله تعالى- أخبر سماحة الشيخ أنَّ له مبلغاً مالياً مقابل محاضرات ألقاها في الكلية، فرفض أخذ المبلغ.

وحدثني وكتب حديثه إليَّ الأخ الكريم خالد بن سلامة المهوس فقال: حدثني الشيخ علي المزروع ﷾ أنَّ سماحة المفتي عبدالعزيز آل الشيخ لما زاره الأمير سلطان -رحمة الله عليهم أجمعين- خرج مشيعاً له فقال الأمير سلطان لأحد مرافقيه: هذا الرجل -يقصد- سماحة المفتي ما سألني دنيا أبداً.

من فطنته ونباهته

كتب إليَّ الشيخ الدكتور بدر بن محمد الوهيبي -حفظه الله تعالى- ما نصه: في ضحى يوم الخميس كنت أقرأ عنده كتاب القاضي عبدالوهاب المالكي -كان مخطوطاً ثم طبع وأُرسل للشيخ صوره منه- وكان الشيخ على عادته يجيب على الهاتف وهو يستمع للقراءة، وكان معالي الشيخ صالح آل الشيخ حاضراً فتعجب من حال الشيخ وسأله هل تستطيع التركيز في القراءة فأجاب نعم وذكر المسألة التي نقرؤها فعجبنا لهذه الموهبة.

من قوة ذاكرته -رحمه الله تعالى-

كتب إليَّ الشيخ الدكتور بدر بن محمد الوهيبي -حفظه الله تعالى-: أنَّ الدكتور عبدالله بن موسى العمار حضر عند سماحة الشيخ فأخذ الشيخ يلاطفه وسأله عن أول مجيئه للرياض فقال الدكتور مخاطباً سماحته: أذكر أول أو ثاني جمعة صليتها في الرياض كانت معك وموضوعها في كذا، فقال الشيخ على البديهة مباشرة نعم هذه الجمعة تاريخ كذا في شهر كذا في عام كذا فعجبنا جميعاً.

مزاحه ودعابته

مزاح أهل العلم مزاح لا يهتك سِتار الحياء ولا يخرم جلباب المروءة، بل مزاح في دائرة تعاليم الشرع وآدابه، وقد كان سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- يحب المزاح مع من حوله، ومن ذلك:

- ما ذكره الدكتور هشام آل الشيخ: [أذكر مرةً كان زميل لنا اسمه (يوسف) وهو من دولة جزر القمر، فكان سماحة الشيخ يشرح لنا في مادة الفقه

المقارن موضوع الحدود، ويمثل بزميلنا يوسف فيقول: (لو أن يوسف سرق) ثم يأتي بالمسألة، ثم يقول: (لو أن يوسف قطع الطريق) ثم يأتي بالمسألة، ثم يقول: (لو أن يوسف شرب المسكر) وهكذا، فقال زميلنا: (يا شيخ: جعلتني سارقاً، وقاطع طريق، وشارب خمر؟)، فرد عليه الشيخ مباشرة وهو يبتسم فقال: (تب إلى الله، تب إلى الله، الله غفور رحيم)].

- وجاءه رجل يستفتيه في دفع الزكاة لقريبة له، فقال الرجل: لي ابنة عم توفي زوجها، فعاجله الشيخ وقال: تزوجها واستر عليها جزاك اللّه خيراً.
- ومن صور مزاحه وتلطفه [أنه أصيب مرة (بداحوس) وهو تورم بسيط في أصبع يده السبابة اليمنى وكان يؤلمه كثيراً، فأحضرت له طبيباً جراحاً في البيت (مصري الجنسية)، فكشف على أصبع الشيخ ثم وضع البنج عليه وثقبه بالمشرط وأخرج القيح والدم المتحجر منه، وقال الطبيب: سآخذ عينة منها ونعمل (مزرعة) لنعرف سبب هذا الالتهاب، فالتفت الشيخ لي ممازحاً وهو يبتسم وقال: نتغدى فيها الخميس القادم][1].
- ومن لطيف مزاحه أنَّ بعض محبيه من خواص طلابه يقلدونه في أسلوب خطبته، ويطلب منهم ذلك أحياناً ويتبسّم -رحمه الله تعالى-.
- وقال الأخ تركي العلي أحد طلاب سماحته: كنت إذا أتيت للسلام على سماحة الشيخ وعنده الشيخ إبراهيم بن عبيد (مراقب الجامع) -رحمه الله تعالى- قال لي سماحة الشيخ: سلّم على بن عبيد أولاً، فسلمت على بن عبيد فإذا أردت السلام على سماحته، قال سلَّم على بن عبيد، فأقول: سلمت عليه يا شيخ! فيقول: سلّم على بن عبيد وقبّل رأسه حتى أسمع صوت تقبيلك له، يقول ذلك وهو يتبسم -رحمه الله تعالى-، وبعد ذلك أُسلّم على سماحته فيسلّم عليّ.

(١) ومضات من سيرة سماحة المفتي، ص٧٥—٧٦، د/ هشام آل الشيخ.

- ومن دعابته وطيب معشره أيضاً، ما حدثني به الشيخ سعد الداوود -حفظه الله تعالى- فذكر: أنَّ سماحته كان يداعب من حوله من الموظفين والعسكريين ويسمع شيئاً من طرائفهم وقصصهم، ومن دعابته معهم أنه كان وقت نشاطه وصحته إذا سلَّم عليه أحدهم وصافحه بكفه ضغط بإبهامه اليمين على ظهر كف المسلِّم عليه فإذا توجّع تبسم سماحته، قال الشيخ سعد ففعل ذلك معي وضغط بإبهامه عليَّ فتحملتُ ثم قلت له: يا شيخ عسى ما تألّم إبهامك، فضحك وقال: ما شاء الله عليك.
- حدثني د/ ناصر المطرفي -حفظه الله تعالى-[1] قال:حدثني الأخ صالح الظفيري فقال: (لما كنت في كلية الشريعة بجامعة الإمام وافقت أن ركبت المصعد وفيه شيخنا عبدالعزيز آل الشيخ وكان وقتها يلقي محاضرات في الكلية فأردت أن أفتح معه الحديث فأتيت بسؤال لا زمام له ولا خطام لقصد الحديث مع الشيخ، فقال لي الشيخ: ما اسمك؟ قلت: صالح الظفيري، قال: يا صالح سؤالك غير صالح، فضحكت وضحك الشيخ).
- ومما كتبه إليَّ الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (كان سماحته ﷺ محباً للصيام وكان يقبل الدعوة لحضور مناسبة الزواج وأحياناً نحضر عدة مناسبات في يوم واحد وكان لايحب السهر، ولعل ذلك حتى لايؤخره عن القيام آخر الليل، ولأجل ذلك كان لا ينتظر العشاء، بل يغادر، وفي أحد المناسبات قال له أحد المرافقين: والدي العشاء جميل اسمح لنا بالعشاء فوافق وانتظر -رحمه الله تعالى-، وقال: بلّغ زملاءك يتعشون، وتأخروا في تناول العشاء، فقال ممازحاً للفرد: يا فلان خلصتوا؟ فرد الفرد: باقي الحلا . فضحك سماحته وقال: حلو مافي مانع. -رحم الله تعالى سماحته).

(١) د/ ناصر بن هزاع المطرفي الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين وإمام وخطيب جامع الأمير محمد بن جلوي -رحمه الله تعالى-.

- ومما كتبه لي الأخ الكريم خالد الفريان أيضاً: (أنَّ سماحة الشيخ عبدالعزيز بعد الدوام يبقى في الجامع حتى صلاة العشاء يومياً عبادة ودروس، وكانت وجبات الغداء تجلب من قصر سماحته له وللمرافقين وفي أحد المرات قال له أحد الأفراد: يا والدي أنا والمرافقين مشتهين وجبة سمك وسنحضرها بأنفسنا، فرد سماحته: ومن سيدفع الثمن؟ فقال الفرد: كلنا قاطين، فرد سماحته وكم قَطَتي معكم؟ وهو يضحك، ثم قال -رحمه الله تعالى-: أنت وجميع المرافقين وجبتكم عليَّ، ويُبَلّغ الطباخ لا يرسل الغداء، وتناول وجبة الغداء معهم، -رحم الله سماحته-).

محبة سماحته للصغار ومحبتهم له

كان من هديه ﷺ محبة الأطفال ومداعبته لهم فمن ذلك قوله لزينب بنت أم سلمة وهي طفلة: (يازوينب.. يازوينب)[1] ودخلت عليه مرّة وهو يغتسل فنضح في وجهها الماء.. قال ابن القيم: (فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يُكنى أبا عُمير، وكان له نغر يلعب به، فمات فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزيناً، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير[2].

وقد رأيت سماحته في بيته وغير بيته يلاطف الصغار -ومنهم ابني عمر بارك الله تعالى فيه وفي أخيه وأخواته- ويداعبهم.

وقال بعض طلابه ومحبوه: كنت أستمتع وأنا أشاهد وقوف الناس ومعهم أطفالهم عند الباب الذي يخرج منه سماحته في جامع الإمام تركي إلى سيارته، يخبرونه من يصحبونه ويتوقف ويسلم ويقبل الأطفال.

---

(١) السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- ٥/ ١٧٤.

(٢) أخرجه البخاري.

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وتلميذه عبدالعزيز بن محمد السدحان

- درَّسني في الجامع وفي الجامعة وفي منزله.
- أفادني بتوجيهاته الطيبة ونصائحه الصادقة جزاه الله تعالى عني خيراً.
- صلَّى في جامع الملك خالد -رحمه الله تعالى- إماماً على والدي وبعد عشر سنوات صلّى على والدتي جعل الله الفردوس الأعلى مثواهما ومثواه.
- قدّم لبعض كتبي.
- أكرمني بالحج معه.
- أكرمني بتفريغي سنتين لبعض البحوث العلمية.
- قَبِلَ مني بعض الشفاعات لبعض طلبة العلم.
- استجاب لطلبي فألقى محاضرة في مسجد بن قدامة الذي كنتُ إماماً له.
- أفرحني بقبول دعوتي له للعشاء بعد المحاضرة، وشرَّف داري وكانت ليلة ماتعة بحضور سماحته وثُلَّةٌ من الأفاضل الحاضرين جزاه الله تعالى عني خيراً.
- تعرَّض سماحته لألم في قدمه، فدخل مستشفى قوى الأمن، فاتصل بي الدكتور عبدالرحمن العريفي أحد المقربين من سماحته وأخبرني أن سماحته يرغب أن يصلي به أحد صلاة الفجر إماماً فترددت عليه أياماً أصلي به إماماً وكانت من أطيب الأيام ذكر د/ العريفي أنها أسبوعان وقد تزيد فاستفدت من علمه وتواضعه وما يذكره ويقصّه من أخبار -رحمه الله تعالى- وجزاه عني خيراً.
- من اللطائف والطرائف أنني قمت برقيته أثناء مرضه بطلب مني لا بطلب

منه، وقد تأثّرت من سكينته وتعظيمه لكلام الله تعالى وكان يؤمِّن بعد قراءتي للفاتحة فأخبرته بعد الرقية بأنني رقيتُ الشيخ بن عثيمين -رحمه الله تعالى- بطلب مني لا منه وهو على فراش مرضه في المستشفى التخصصي بالرياض واستفدت منه ثلاث فوائد أثناء الرقية:

- **الأولى**: التأمين بعد قراءة الفاتحة في غير الصلاة.
- **الثانية**: الرقية على مكان المرض في أيّ موقع في البدن خلافاً لمن اسثنى بعض المواضع كباطن القدم والعورات.
- **الثالثة**: ذكر لي أنه يتأمل أحياناً عند قول بعض الفقهاء وإذا لم يعرف المريض الوقت قدَّر وصلى، فأقول في نفسي وهل يخفى الوقت على المريض؟ ثم قال لي: وأنا الآن لا أعرف الوقت في شدة المرض حتى أُخّبرَ بذلك فرحم الله الفقهاء ما أبعد نظرهم العجيب أن سماحته كان حريصاً على سماع الفوائد الثلاث وسُرَّ بها.

✍ اعتدت على زيارة رجل من العُبَّاد الصالحين وقد تولَّى الآذان لأكثر من أربعين (٤٠) سنة وهو الشيخ الوالد العابد محمد بن فرحان الخثلان، أخبرني مرة أنه يدعو كل ليلة لأحد عشر (١١) شخصاً بأسمائهم وعدَّ منهم الإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله بن جبرين والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ -رحم الله تعالى الجميع-، فوقع في نفسي أن أخبر الشيخين عبدالله بن جبرين وعبدالعزيز آل الشيخ بذلك وأشفع عندهما بطلب الزيارة منهما لهذا الرجل الصالح فكان ذلك، ومن اللطيف والطريف في ذلك إني قلت للشيخ ابن جبرين: لو بلغك أنَّ صبياً يدعو لك في ظهر الغيب فهل تفرح؟ فقال: نعم، فقلت: لو كان الداعي لك رجلاً؟ فقال: أفرح أيضاً، فقلت: لو كان الداعي لك رجلاً

مسناً من العُبَّاد الصالحين وكان يخصك بالدعاء في كل ليلة ألا تفرح؟ فقال: بلى أفرح كثيراً، فقلت: هناك رجل من العباد الصالحين يدعو لك باسمك في كل ليلة وأشفع عندك، أن تُفْرِحَه بزيارة في بيته، فوافق الشيخ عبدالله، وقام بزيارته، وبعد أيام كلّمت سماحة الشيخ عبدالعزيز وقلت له كما قلت للشيخ ابن جبرين وقام سماحة الشيخ عبدالعزيز بزيارته، وبفضل الله تعالى أدخلت تلك الزيارتان على ذلك الرجل المسنّ وعلى أهل بيته وعليَّ سروراً عظيماً، رحم الله الجميع وجمعنا بهم في جنات النعيم.

✍ **كنت معه في آخر حجة حجها**: قبيل الحج بأيام اتصل بي الشيخ صالح المرشد أحد الفضلاء الأكارم في مكتب سماحته وقال -حفظه الله تعالى-: إنَّ سماحته يدعوك للحج معه ثم طلب مني عمل الإجراءات النظامية وتم ذلك، بحمد الله ثم بمبادرة من الشيخ فهد بن سعد النشوان -حفظه الله تعالى-، المشرف العام على مخيم سماحة المفتي. -حفظه الله تعالى-، فحججت مع سماحته تلك الحجة وأحسست فيها براحة وانشراح وتيسّر وتيسير الأمور ولا أنسى صلاة الفجر بجانبه في مخيمه في فجر عرفة وعليه سكينة ووقار جعل الله تعالى الفردوس الأعلى مثواه.

✍ **آخر العهد بسماحته -رحمه الله تعالى-**: من عجائب تقدير الله تعالى وفضله أن آخر مرة رأيته فيها، كنت مع الشيخ عبدالإله السليمان في سيارته عائدين من عزاء أسرة آل تويم في وفاة والدتهم المرأة الطيبة (نورة بنت سعود العسكر أم محمد بن عبدالله التويم) رحمها الله تعالى وبارك في ذريتها، وفي أثناء الطريق ووصولنا إلى حي المعذر دخلنا سهواً شارع موسى بن نصير -الذي يقع عليه بيت سماحته- وكان ذلك قبيل أذان المغرب، فقلت للشيخ عبد الإله: بما أننا قرب بيت سماحة المفتي فأرى أن نصلي مع سماحته ونسلّم عليه، فوافق مشكوراً كعادته الطيبة، فدخلنا

المسجد قبيل أذان المغرب وإذا بسماحته يدخل للمسجد من الباب الداخلي فسلَّمنا عليه قبل الصلاة، وودعناه بعدها. وكانت آخر مرة رأيته فيها -رحمه الله تعالى-، فيا سبحان الله خطأ غير مقصود كان من آثاره خيرٌ متعدٍ إلى آخرين، ومما يناسب ذكره هنا؛ خبرٌ مفاده أن سماحة الشيخ ﷾ بلغه وفاة عبدالله بن صالح الفضل سفير السعودية في سوريا، وكان رجلاً محبوباً عند الشيخ لخلقه ومسارعته في الخير، وقد دفن -رحمه الله تعالى- في مكة، فذهب الشيخ إلى المقبرة للصلاة عليه، فصلى على قبر آخر، ولما أخبرهم حارس المقبرة بمكان القبر الصحيح قال الشيخ: رحمك الله يا فلان، كنت سبباً لفعل الخير للناس في حياتك وبعد مماتك. ثم صلى على قبره، وحُقَّ لي أن أقول في هذا المقام: رحم الله تعالى المرأة الطيبة أم التويم التي كان عزاؤها سبباً في السلام على سماحته وجمعنا الله ووالدينا بهم في جنات النعيم.

✍ **من الطرائف واللطائف مع سماحته**: بما أنَّ هذا المبحث في أواخر الكتاب أحببتُ أن أورد خبراً يتضمن نادرةً لطيفةً، وقد درج عند بعض أهل العلم قُبيل ختم المجلس إيراد خبرٍ فيه دعابةٌ أو طرفةٌ أو قصةٌ، ولذا يقول الإمام العراقي -رحمه الله تعالى- في منظومته ألفيّة الحديث:

وأستحســـن الإنشاد في الأواخر

بعـــد الحكايات مـــع النوادر

وإليكم القصة كاملة: كان سماحته يدرسنا في كلية الشريعة في قاعة (أ) وكنتُ أنا الذي أحضِّر الطلابَ وبعد الفراغ أعطي سماحته ورقة التحضير، وكان هناك قاعتان، قاعة (أ) وقاعة (ب) فأخطأتُ في كتابة رمز القاعة فكتبت (ب) بدل (أ) وبعد الخروج من الكلية كان في نفس ذلك اليوم خبر خسوف للقمر - وكنت إمام مسجد، وبعد خروج المصلين من صلاة

الخسوف، بقي معي في المسجد ثُلَّةٌ من الأخوة فقلت لهم: وقت الخسوف طويل، فلو صلينا مرة ثانية، فصلينا مرة ثانية، الشاهد في اليوم الثاني بعد الكسوف كان سماحة الشيخ عندنا في المحاضرة في الكلية فلما خرجنا من القاعة ناداني وأخذ بيدي وقال لي: ما الذي فعلتَ! فقلت: يا شيخ الأمر سهل كتبتُ بدل قاعة (أ) قاعة (ب)، فقال: لا أعني هذا، أعني لماذا صليتَ الخسوف مرتين، فتعجبت من سرعة علمه بذلك مع بعد مسجدي عن منزله وكان ذلك الوقت قبل وجود الجوالات، سنة (١٤٠٥هـ) تقريباً، فقلت له متعجِّباً مداعباً: يا شيخ الوحي قد انقطع، فهل عرفت من طريق الجن؟ من الذي أخبرك؟! فتبسَّم ضاحكاً من قولي، وقال: المهم لماذا صليت مرتين؟ فتحدثت معه حول ما قرأتُ عن المسألة، وقلت له: سأذهب الآن للجامع الكبير وأصلي مع الشيخ ابن باز وأسأله، وأخبرك عن جوابه فدعا لي، فذهبت إلى الجامع الكبير وصليت الظهر مع سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى-، بعد الفراغ من الصلاة قام ليخرج من المسجد ومشى معه بعض الناس يسألونه وأنا أمشي معهم حتى وصل إلى سيارته فركبت معه وسألته عن المسألة، فكان معنى جوابه: لم أعهد هذا من عمل مشايخنا لكن لو فعل فلعل عموم النصوص تشفع له، أو كلاماً نحو هذا. ولما وصلنا إلى مكتبه في مبنى الرئاسة العامة للإفتاء، ودعته، وذهبت لأسلّم على بعض المشائخ في مكاتبهم فقابلت الشيخ عبدالله بن غديان -رحمه الله تعالى- فسألته عن هذه المسألة فقال صلِّ مرة ومرتين وثلاثاً ولا حرج في ذلك هي من جنس صلاة النوافل. فلما قابلت الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله أخبرته بجواب الشيخ ابن باز وجواب الشيخ عبدالله ابن غديان، ثم سألته عن الذي أخبره بفعلي فتبسّم وأبى أن يخبرني، وكل ما قابلته سألته فيأبى، ولا أكتم القاريء حديثاً إذا قلت: إن القصد من تكرار

السؤال عن الذي أخبره، من باب إدخال السرور عليه، وما أطيب تبسّمه إذا سألته،الشاهد أني قلت له: يا شيخ سأعرف إن شاء الله من أخبرك ولو بعد حين، وبعد عشرين (٢٠) سنة تقريباً عرفتُ من أخبره، وخلاصة الأمر، أنَّ أحد الجيران تحدّث معي مرة، و جاء ذكر سماحة الشيخ عبدالعزيز، فقال جاري: سألته قديماً عن تكرارك لصلاة الخسوف مرتين، فقلتُ له: الآن سأنتصر على سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وأخبرتُ جاري بما كان بيني وبين سماحته، بعد ذلك قابلت سماحة الشيخ عبدالعزيز، فقلت له يا شيخ انتصرت عليك وأخبرته باسم الشخص الذي أخبره، فتبسّم -رحمه الله تعالى-. رحم الله تعالى شيخي عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ جزاه عني خيراً وجعل الفردوس الأعلى مثواه وبارك في ذريته و حفاده وأسباطه.... اللهم آمين.

مع المحبرة إلى المقبرة

قال صالح: (رأى رجل مع أَبي محبرة، فقال له: يا أبا عبد اللَّه أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إِمام المسلمين. فقال: مع المحبرة إلى المقبرة)[1] وهؤلاء الأكابر من العلماء يقتدون بالأنبياء -عليهم السلام- في تعاملهم مع أنفسهم وفي دعوتهم للناس، فالأنبياء -عليهم السلام- في دعوتهم مع أنفسهم ومع من يدعون، لا يقطعهم عن نشر الخير إلا الأجل لهم أو للمدعو، ومثال ذلك: نوح عليه السلام ما زال يدعو ابنه حتى حال بينهما (الموج) ونبينا ﷺ ما زال يدعو عمه حتى حال بينهما (الموت)، وهذا دأب أهل العلم لا يقطعهم عن العلم إلا الأجل، ولسماحة الشيخ عبدالعزيز نصيب وافر من العناية والحرص على ملء وقته بالعلم سماعاً وتعليماً، وهذا مصداق قول النبي ﷺ: [مَنْهومانِ

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص٥٥.

لا يَشْبَعانِ: مَنْهومٌ في عِلْمٍ لا يَشْبَعُ، ومَنْهومٌ في دُنْيا لا يَشْبَع][1] وأكتفي في هذا المبحث بمقال سديد كتبه الدكتور الكريم إبراهيم بن يحيى الجهيمي -حفظه الله تعالى-. فأجاد وأفاد، وهذا نص مقاله: في عصر يوم السبت الموافق ٢٨/ ٣/ ١٤٤٧هـ كنت في زيارة والدنا سماحة الشيخ الإمام/ عبدالعزيز آل الشيخ للسلام عليه، وكان ﷺ يظهر عليه التعب الشديد والانهاك وكأن فيه ألم في المعدة، فسلمت عليه فسألني عن حالي ووالدتي ثم جلست، وبدأ طلاب العلم بالقراءة عليه كما هي العادة. فقمت للممرض وسألته عن صحة الشيخ وهل يعاني من تعب؟ فقال الممرض: إن الشيخ فيه ألم بمعدته بسبب عسر في الهضم ولم ينم جيداً وقلت له يجب أن ترتاح فقال لي وهو غاضب: (طلاب العلم قدموا للقراءة علي ولن اذهب عنهم) وأنا لا أستطيع أن أخالف رغبته فحاولت في الممرض أن يقنع الشيخ فذهب إليه ولم يقتنع ويقول للقارئ: (نعم) يعني أكمل القراءة... وبعد خمس دقائق اشتد الألم عليه وأخذ يئن بصوت مرتفع حتى توقف القارئ عن القراءة وأتى الممرض مسرعاً وشخص آخر وأخذوا سماحته خارج المجلس، ثم بعد يومين وصلنا خبر وفاته. فرحم الله جسداً أفناه في علم وبيان وذكر وإحسان، اللهم إن عبدك عبدالعزيز آل الشيخ قد حل ضيفاً عليك وأنت أكرم الأكرمين، اللهم فأكرمه برحمتك التي وسعت كل شيء واجعله مع النبيين والصديقين والشهداء بالفردوس وجميع أموات المسلمين.

كتبه
د/ إبراهيم بن يحيى الجهيمي
١/ ٤/ ١٤٤٧هـ

(١) رواه الحاكم عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه-.

جنازته -رحمه الله تعالى-

صلي عليه في جامع الإمام تركي بن عبدالله بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء ١/ ٤/ ١٤٤٧هـ وأمَّ المصلين عليه ابنه فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله -حفظه الله تعالى- وحضر الصلاة عليه ولي العهد الأمير محمد بن سلمان -حفظه الله تعالى- ووفقه وسدده وبارك في جهوده. وأستميح القارئ عذراً أن أقول في هذا المقام وعند هذا المقال: لما رأيت نعش سماحته يوضع للصلاة عليه تذكرت كم صلى سماحته على جنازة في هذا الجامع وهو اليوم يُصلى عليه كما صلى على غيره وسيُشيّع كما شَيَّع غيره ويُعزَّى فيه كما عزَّى غيره وصدق الشاعر إذْ يقول:

وإذا حملـــت إلى القبـــور جنازةً

فاعلـــم بأنك بعدهـــا محمولُ

وأصدق من قولِ الشاعر قولُ رب الشاعر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾. اللهم اجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله، اللهم أحسن خاتمتنا، وتوفنا وأنت راض عنا ... آمين

عمره عند وفاته -رحمه الله تعالى-

ولد سماحته سنة ١٣٦٢هـ وتوفي سنة ١٤٤٧هـ فيكون عمره خمساً وثمانين (٨٥) سنة، جعله الله تعالى ممن قال فيهم النبي ﷺ: [خير الناس من طال عمره وحسن عمله] رواه الترمذي عن عبدالله بن بسر -رضي الله تعالى عنه-.

أسرة سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى-

❁ زوجته:

المرأة الصالحة (أم عبدالله) سارة بنت عبدالعزيز بن إبراهيم آل الشيخ.

❁ الأبناء:

١- عبدالله.
٢- محمد.
٣- عمر.
٤- عبدالرحمن.

❁ البنات:

١- نورة.
٢- مي.
٣- ليلى.
٤- جواهر.
٥- لمياء.

(أسرة آل جهيمي أخوال سماحة المفتي، ونبذة عن الوالد الشيخ عبدالرحمن ابن إبراهيم الجهيمي خال سماحته) بعد زيارتي للوالد الكريم الشيخ عبدالرحمن ابن إبراهيم الجهيمي -حفظه الله تعالى- كتبتُ مقالاً سبق نشره بتاريخ ٤/ ١٢/ ١٤٤٣هـ ورأيت مناسبة إيراده في هذا المقام، وهذا نصه: [الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وبعد: فمن نعمة الله على عبده أن يعرّفه بالصالحين من عباده، يأنس بزيارتهم ويستأنس بحديثهم ويفرح بلقياهم ومن باب التحدّث بنعمة الله تعالى -أعانني الله على شكرها- أنه أنعم عليّ بالتعرف

على كثير من الأسر الطيبة الكريمة، ومن أولئك: أسرة (الجهيمي) فلقد عرفتّ كثيراً من رجالها وشبابها فلم أسمع ولم أر إلا خيراً من حسن أدب وطِيب لفظ ناهيك عن الترابط الأسري بينهم زادهم الله توفيقاً، وكان ممن عرفتُ منهم كبيراً من رجالاتهم، ذا مكانة بينهم يزين ذلك تواضع ولين جانب وطيب نفس تظهر على قسمات وجهه الطيب، وأعني بذلك: الشيخ الكريم عبدالرحمن بن إبراهيم الجهيمي، تحبه من طِيب سمعته فإذا رأيته تأكّد لك ما سمعتَه عنه فإذا جالسته وتحدثّت معه زاد حبك له، سمعتُ عن هذا الرجل الكريم منذ زمن ولم يكن لي حظّ من التعرّف عليه والجلوس معه إلا قليلاً لكني كنت آنس بالسلام عليه ورؤية محياه الطيب، وتزداد محبة له إذا سمعتَ حسن تحفّيه بك، وما يصحب ذلك من دعوات أحسب أنها من قلب صادق، ناهيك عن تواضعه وتقديره لزائره والمسلّم عليه، ومما يُذْكر فيُشكر ويحسُنُ قوله في هذا المقام: حسن أخلاق أولاده لزائر والدهم -وأحسب أنّ هذا نوعٌ من برِّ الأولاد لوالدهم، لإنهم بذلك يحببون الناس لزيارة والدهم فيكون ذلك سبباً لإدخال السرور على والدهم بزيارة و محبة الناس له- عَوداً على بدء، زرتُ ليلة البارحة هذا الشيخ الكريم بترتيب مع ابنه الشيخ أحمد -حفظه الله تعالى-، وزيارتي لهذا الشيخ الكريم أسأل الله التوفيق في ذلك -محبة في الله لشخصه الكريم ولأسرة الجهيمي التي لها منزلة في نفسي، وأيضاً برّاً بشيخي سماحة المفتي العام عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ- فالوالد عبدالرحمن الجهيمي خال سماحة المفتي، فهو شقيق (سارة الجهيمي -رحمها الله تعالى-) والدة سماحة المفتي، شاهد المقال أنني في زيارتي لهذا الوالد الطيب، استفدت من حديثه أشياء كثيرة منها:

- كثرة شكره لله تعالى على ما أسبغ عليه من نعمه.
- محبته لآل بيته المحبة الصادقة المقرونة بالدعاء والذكر الحسن للحي منهم والميت.

- تواضعه في حديثه وعدم الترفّع بنفسه مع ما حباه الله تعالى من مكانة وقبول.
- تحفّيه بضيوفه تحفّياً يخجل ضيفه منه.
- عنده توثّق في حديثه وما يذكر من أخبار، ولعل ابنه الشيخ أحمد يوثّق ذلك صوتاً وكتابة فمثل هؤلاء الآباء الأكارم يعرف من جالسهم وتحدّث معهم أنهم يمتلكون أرشيفاً من الأخبار التاريخية، عاصروها وسمعوها وتحدثوا مع أصحابها، فحديثهم موضع القبول والتوثّق.

ختاماً: شكر الله تعالى للوالد عبدالرحمن الجهيمي تواضعه وحسن ضيافته وجعله الله تعالى ممن طال عمره وحسن عمله وبارك في ذريته وأحفاده وأسباطه وبارك في أسرة الجهيمي وجمعهم في الدنيا في سرور وحبور وجمعهم في الآخرة في الفردوس الأعلى آمين يا أكرم الأكرمين.

قرائن ودلائل
من عاجل بشرى سماحته في حياته رحمه الله

من مقاصد الشريعة وحِكَمِها غرسُ وتحقيق الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة في النفوس وبيان الأسباب الجالبة لذلك مع بيان بعض النتائج المترتبة على ذلك من باب البشائر المعجلة، والمقصود قوله هنا: أنَّ مما أحسبه من عاجل بشرى سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- أمور، اكتفي بذكر اثنين منها:

- **الأمر الأول**: محبة الناس له فمن عرفه وجالسه وسمع كلامه ورأى وداعته أحبه وأنِسَ به، وأحسب أن هذا القبول من فضل الله تعالى عليه ثم صدق نيّته وطيب طويّته، والله تعالى أسأل أن يكون سماحته مشمولاً بقول النبي

ﷺ: [إنَّ اللَّهَ إذا أحَبَّ عَبْداً دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاناً فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ .....][1]، وأسأل الله تعالى أيضاً أن يشمله قول النبي ﷺ: [ما مِن عبدٍ إلَّا له صِيتٌ في السَّماءِ فإذا كان صِيتُه في السَّماءِ حَسَناً وُضِع في الأرضِ وإذا كان صِيتُه في السَّماءِ سيِّئاً وُضِع في الأرضِ][2].

- **الأمر الثاني**: قوله ﷺ: [لا يَبْقى بَعدي منَ النُّبوةِ شيءٌ إلَّا المُبشِّراتُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما المُبشِّراتُ؟ قال: الرُّؤيا الصالحةُ، يَراها الرَّجلُ، أو تُرى له][3]. ومن الرؤى المنامية التي رؤيت في سماحته ما حدثني -في ظني- الشيخ عبدالعزيز بن مقيرن -رحمه الله تعالى-، فقد ذكر لي -رحمه الله تعالى- أن الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ رأى في ما يرى النائم أن عبدالله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- أمره أن يفتح فمه فنفث بريقه في فمه فعبّر ذلك بعضهم بأنه سيكون له تلاوة طيبة للقرآن.

ومما يحسن ذكره هنا فيما يتعلق بالرؤى المنامية خبر أرسله إلي فضيلة الشيخ ناصر بن عبدالرحمن آل حمود -حفظه الله تعالى-: (أنَّ سماحة الشيخ رأى في منامه أنَّ عليه مشلحاً ومعه عصا، فأوِّلت له: أن الفتوى ستئول إليه ويكون مرجعها). وحقاً صدقت الرؤيا وصدق تعبيرها.

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البزار في مسنده وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته.

(٣) أخرجه الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله تعالى عنها-.

من عاجل بشرى سماحته بعد وفاته

من عاجل بشرى سماحته بعد وفاته، جعل الله الفردوس الأعلى مثواه، أمور منها:

- **موته بداء البطن**: قال ﷺ: [الشُّهداءُ خمسةٌ: المطعونُ والمبطونُ والغرِقُ وصاحبُ الهدمِ والشَّهيدُ في سبيلِ اللهِ][1]، وقد خصّص بعض الشراح أنواعاً لمرض البطن والصحيح كما قاله آخرون من مات بداء البطن مطلقاً لعموم لفظ الحديث.
- **كثرة المصلين عليه**.
- **صلاة الغائب عليه** في الحرمين وفي جميع مساجد المملكة بناءً على توجيه خادم الحرمين ضاعف الله تعالى له الأجر والثواب.
- **كثرة المشيعين له**.
- **كثرة المعزين فيه**: وقد حضرت بحمد الله تعالى الصلاة عليه والتشييع له والعزاء فيه في جميع أيام العزاء فرأيت من جموع الناس وسمعت من دعواتهم ما يُفرحُ به له ويُغبط عليه ويُتفاؤل به على البشرى له بعد مماته -رحمه الله تعالى-.
- **كثرة الداعين له** من خلال وسائل التواصل المرئية والمسموعة والمقروء.
- **كثرة انتشار مقاطع لخطبه ومحاضراته مصحوبةً بالدعاء له**.
- **كثرة ذكر محاسنه نثراً وشعراً**. اللهم ارحم شيخي ومعلمي عبدالعزيز بن عبدالله واجعل الفردوس الأعلى مثواه.

---

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-.

ومما يذكر

فيشكر ما وجه به ولي العهد الأمير محمد بن سلمان -حفظه الله تعالى- بإطلاق اسم سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- على شارع في مدينة الرياض، وقد تمَّ هذا بحمد لله تعالى والشارع المعنيُّ هو الذي يقع عليه بيته -رحمه الله تعالى- وكان اسمه سابقاً شارع موسى بن نصير، وأتمنى من وزارة التربية إطلاق اسم سماحته على مدرسة من المدارس وأحسب أن معالي الوزير يوسف بن عبدالله البنيان أو من له صلاحية بهذا سيقومون بذلك تقديراً منهم لسماحته وبرّاً به -رحمه الله تعالى-.

ذهاب شخصه وبقاء وصفه

مما يُؤنسُ به بعد أن رحل عنّا سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- بشخصه، بقاء وصفه، وأعني بذلك: فضيلة ابنه الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز آل الشيخ من أهل العلم الأفاضل وهو يشبه والده خَلْقاً وخُلُقاً وقرآءةً وصوتاً وتواضعاً وسماحةً جعله الله تعالى مباركاً أينما كان وأحسب والظن بالله تعالى ذلك ثم بولاة الأمور أن فضيلته سيرتقي منبر عرفة فيذكرنا بتلك التوجيهات والدعوات الطيبات وسيفرح الكثير بذلك ويكثرون الدعاء له -حفظه الله تعالى- ولوالده -رحمه الله تعالى-.

من صفات سماحة الشيخ عبدالعزيز في منهجه العلمي والدعوي

- تعظيم التوحيد.
- تعظيم شأن القرآن والحثُّ على قرأته وتدبره.
- محبة الصحابة والدفاع عنهم.

- قدرته الفائقة على انتزاع الشواهد القرآنية.
- الدعاء لولاة الأمور.
- سلامة صدره على المسلمين.
- محبته وحثه على قيام الليل.
- توقير العلماء وحفظ مكانتهم والغيرة على مقامهم.
- السؤال عن جديد كتب العلم والحرص على سماعها وأحياناً يشكر المؤلف أو المحقق مشافهة عند حضوره ومهاتفة عند غيابه.
- رحابة صدره عند البحث العلمي وحسن استماعه للطرف الآخر أثناء النقاش.
- الفرح بالفائدة.
- وضوح كلامه وعدم التقعُر والتنطع في إظهار الفصاحة والبلاغة.
- السماحة مع الجميع.
- محبة الخير للناس والحرص على نفعهم والحذر والتحذير من ضررهم حسياً أو معنوياً.

مما قيل من الرثاء في سماحة الشيخ رحمه الله

الشيخ مات:

جَلّ المصـــابُ لفقد العـــالِمِ العَلَمِ
مفتي الديارِ الصـــدوقِ الناصحِ الفَهِمِ
الشـــيخُ مات.. لعمري تلك فاجعةٌ
تُدْمي الفؤادَ، فبالســـهم المصيب رُمي
ضُحى الثلاثاءِ ماأقســـى رســـالته!
في غُرة الشـــهر.. أمـــرٌ كان كالحُلُمِ

مات الإمـــام.. فـــلا شيءٌ يُصبّرنا
إلا الـــرضى بقضـــاء الله ذي الحِكَم
إمـــامُ علـــمٍ وإيمانٍ وشـــيخُ هدى
بالقلب يُبـــصر في داجٍ مـــن الظُلَمِ
عَفُّ اللســـانِ.. نقيّ القلبِ.. طاهرُهُ
عَذْبُ الكلامِ.. تقيٌّ.. وافرُ الشَـــيمِ
سَـــمْحُ المُحَيّا.. عظيـــم في تواضعه
وفي الســـماحة ركـــنٌ ثابـــت القَدَمِ
وفي العبـــادة أحيا ذِكْرَ من ســـبقوا
مـــن الأئمة أهـــلِ الفضـــلِ والهمَمِ
وصاحـــبٌ لكتـــاب الله يقـــرؤه
بصوتـــه العـــذبِ يتلو غـــيرَ مُخْتَرِمِ
وفي الخطابـــة رمـــزٌ لا يُطَاوِلُـــهُ
سَـــحْبانُ في عَرَب الدنيـــا ولا عَجَمِ
وفي الفضائـــل لا تحـــصى مناقبُـــهُ
ولا نُزَكّـــي على الوهـــاب ذي النِعَمِ
تبكيـــك يـــا شـــيخُ أرواحٌ وأفئدةٌ
من شـــده الفقد كم عانت من السَقَمِ
يبكيك يا شـــيخَنا بيـــتٌ ومكتبةٌ
ومجلسٌ مـــورِدٌ عذبٌ لـــكل ظَمِي

يبكيـــك جامعُك المحـــزونُ منبرُهُ
كـــذاك محرابُـــهُ يبكـــي مـــن الألمِ
ومنـــبرُ الموقفِ المشـــهودِ منصدعٌ
من شـــدة الخطب، إن تَلْمَسْه ينهدم
حتـــى الأئمةُ مـــن أعـــلام أمتِنا
ســـيفقدون دعـــاءٌ صـــادقَ الكَلِمِ
قد كنتَ تدعو لهم إن مَـــر ذِكْرُهُمُ
ولســـتَ تَقبلُ فيهـــم قـــولَ مُتْهِمِ
واليومَ يا شـــيخنا.. فارقـــتَ عالَنا
إلى جـــوارِ رحيـــمٍ واســـعِ الكَرَمِ
يا رب فاغفر لشيخي، وارْضَ عنه غداً
واجعله في القـــبر في رَوْضٍ من النِعَمِ
واجعل جِنانَـــكَ في الفردوس مَنْزلَهُ
مع النبـــي خيرِ من يمشي عـــلى قَدَمِ
وجـــازِهِ خيرَ مـــا تجزي بـــه عَلَماً
مُعلّـــماً برســـول الله يَأْتَمِـــمِ
واخلف على أمة الإســـلام في عِوَضٍ
عنْهُ يجـــوز بها بحـــراً مـــن الظلم

أ.د عبدالله بن عبدالعزيز التميمي حفظه الله تعالى
الرياض، الأحد ٦/ ٤/ ١٤٤٧هـ

❁ عرفات تحكي:

بَكَتِ السَّـــمَاءُ وفي العُيـــونِ دموعُ
والكـــونُ من فَرطِ الأســـى مَوجُوعُ
يا (شـــيخَنا المُفتـــي) رَحَلْتَ وكلُّنا
مِنْ هَولِ مـــا قد راعَنـــا- مَفجُوعُ
فَقْـــدُ الشُّـــيوخِ العَارِفـــينَ مُصِيبةٌ
ورَحِيـــلُ مِثلِـــكَ في الحيـــاةِ فَظِيعُ
مـــا زِلتَ نَبعًـــا للعُلـــومِ، ومعهداً
يُهـــدِي الفضائلَ، صَوتُه مَســـمُوعُ
يَبكِيكَ (مَســـجِدُكَ الكبيرُ) ومَنصِبٌ
يَكسُـــوهُ منـــك مَهابةٌ، وخشـــوعُ
(عَرَفَاتُ) تحكي والمشـــاعرُ والرُّبى
عـــن خُطبةٍ فيهـــا الهُـــدى مجموعُ
تَخشـــى المنابرُ أنْ تَغِيـــبَ، وهَا أتى
يَـــومٌ يُلِـــمُّ بِرُكْنِـــها تَصدِيـــعُ
حجَّاتُـــكَ ازدانَـــتْ بنفـــعٍ غامرٍ
عَشِـــقَتْكَ منـــهُ أماكـــنٌ وربـــوعُ
حتى الأئمـــةُ في القُبـــورِ منحتَهُمْ
أجـــراً بحجِّكَ.. هل تُـــرَاهُ يَضِيعُ؟!

تلكَ العُقــودُ المَاضِيَاتُ شــهادةٌ
أنَّ الشُّــيوخَ الصَّادِقــينَ شــموعُ
عُلَمَاؤنــا الأقــمارُ، أنــوَارُ الدُّجى
وهــمُ أمــامَ النَّائبــاتِ دروعُ
ثِقَةُ الــوُلاةِ، حِكايــةُ التبجيلِ كَمْ
تُــروَى، فقَــدرُكَ في الأنَــامِ رَفِيعُ
تبقى سَــلِيلَ العِلْمِ ذِكــراً عَاطِراً
مــن (أُسرَةٍ) منهــا العَبِــيرُ يَضوعُ
والأم (ســارةُ) بعدَ يُتمِك أمطرت
لُطفــاً.. فأمُّــكَ جَنَّــةٌ وربيــعُ
يا (شَــيخَنا) ويَئِــنُّ بَعــدَكَ عَالَمٌ
وتَــذُوبُ في صُبحِ الــوداعِ ضلوعُ
يا رَبِّ .. نَــوِّرْ قبرَ شَيخٍ رَاحِــلٍ
في (العودِ) في بَطنِ الــتُّرابِ ضَجِيعُ

كتبها: ياسر بن عبدالله السليّم حفظه الله تعالى
الثلاثاء ١ ربيع الآخر ١٤٤٧هـ

وقد قرأتُ قصيدة في رثاء سماحته -رحمه الله تعالى- للدكتور زياد بن عبدالعزيز بن عبداللطيف بن عمر آل الشيخ وقد سمّاها (سراج بأعناق السواري) فشكرته عليها وأخبرته بأنني سأضعها في كتابي عن سماحته -رحمه الله تعالى-، فأرسل إلي مشكوراً القصيدة مع مقدمة لطيفة فيها بيان أمانة النقل والإقتباس، قال -حفظه الله تعالى- ما نصه: عندما توفّي الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن عام ١٣٦٧هـ جدّ الشيخ عبدالعزيز، رثاه جدي لوالدتي الشيخ عبدالله بن عمر بن عبداللطيف بقصيدة عينية مطلعها:

على الشـــيخ فليبك محـــب مولّعُ

بـــكاء حزيـــن قلبـــه يتصـــدعُ

وكان الشيخ محمد عمّ الشيخ عبدالله وشيخه وجدّ أبنائه. فوفاءً لسيرة الجدّين كتبت هذه القصيدة في رثاء الخال سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله بن محمد على نهج قصيدة الشيخ عبدالله رحمهم الله جميعاً، وقد ضمّنتُ منها أبياتاً (ما بين قوسين) بما يناسب سياق القصيدة.

(سراج بأعناق السواري):

محاريـــب ثـــكلى أم منابِرُ خُشَّـــعُ

خلـــتْ بعـــدَهُ أَم مجلـــسٌ يَتَصَدَّعُ

لعُمرٍ مـــن التوحيد فقهـــاً ودعوةً

لهـــا حيثما كانـــت إلى الحـــق مرجعُ

سِراجٌ بأَعنـــاقِ السَّـــواري مُعَلَّقٌ

مَقابيـــسُ نـــورٍ بالهدايـــةِ تســـطَعُ

فكم مُســـتظلٍ يســـتضيء بنورِهِ
وكـــم ظُلمـــةٍ ديجورهـــا يتَقَشَّـــعُ
وكم ســـامعٍ محرابَهُ يبعثُ الشَّجى
على بُحَّـــةٍ بـــين المحاني تُشَعشـــعُ
سرى منـــه تَرتيـــلٌ عَتيـــقٌ مُحَبَّرٌ
مزامـــيرُ نجـــوى أو رجـــاءٌ مُوَقَّعُ
قلوبٌ لـــه مفتوحـــةٌ حيثما مضى
وروضٌ بمعـــراجِ الضلـــوع ومَربَعُ
تضيق بأعنـــاق البيانِ مســـالكٌ
فيلوي بهـــا بـــين المضايـــقِ مَهيَعُ
ويجمـــع أطراف الـــكلام تَواضُعاً
ويُهدي الهُدى جـــوداً ولِلجودِ مَوضِعُ
فللفَقـــدِ إنْ لم تبـــكِ دارٌ ومِنـــبرٌ
(على الشَّـــيخِ فليبكي مُحِـــبٌّ مولَّعُ)
(فيا حـــيُّ يا قيّومُ يا ســـامِعَ الدُّعا
ويـــا من لـــه كلُّ الخلائقِ تَـــضْرَعُ)
تُجازي إلهي الشَّـــيخَ ما أنتَ أهلهُ
وتســـكنهُ الفردوسَ، عفوُكَ أوسَـــعُ
فإن عبرة لم تشـــفِ ما بـــكَ بعدَهُ
(فَهـــذا قَضـــاءُ اللهِ ما منـــهُ مَجزَعُ)

تراجِيعُ موجـــوعٍ توالَتْ من البِلى
ولهفَـــةُ مفجـــوعٍ وقلـــبٌ مُفجَّعُ
تذكَّرتَ من دنيـــاكَ بعض الذي بها
وترجـــو لديها رجعَ ما ليـــس يَرجِعُ
وليس الـــذي ترجوه منهـــا بنافعٍ
وصـــبرٌ على الأيـــام لـــو كان ينفعُ
رأيتَ ظُعـــونَ الراحِلـــينَ تَحَمَّلوا
وباباً مضـــوا فيه إلى الغيـــبِ يُشرَعُ
وإنْ تَغتَمِضْ عينـــاكَ ليلة غادروا
فقد بـــات في جنبيكَ ظبـــيٌ مُرَوَّعُ
سريعاً عـــلى فيضِ المنايـــا تمرها
فمن قائـــمٍ يســـقي وآخـــرُ يكرَعُ
ترى العُمرَ مجروراً على رأس بَكرةٍ
فذاكَ صريرُ الوقتِ إنْ كنتَ تســـمعُ
وخلفكَ حادي الرَّكبِ يُزجي قِلاصَهُ
ومَهـــما تَمَهَّلـــتَ النَّجائـــبُ تسرعُ
تســـير إلى الفقدِ الـــذي أنتَ تتقي
متاعـــك محمـــولٌ وراءك يوضـــعُ
وفي السير خسرانٌ ودربك موحشٌ
وزادك لا يكفـــي إذا كنـــتَ تطمعُ

وليـــس بشيءٍ مـــن حياتك ضائعٌ
ولا بعـــده ممـــا ادخـــرتَ مضيَّـــعُ
ولكـــن تزودْ، خـــيرُ زادٍ هو التقى
صـــلاةٌ وتســـبيحٌ إلى الله تشـــفعُ

كتبها: د. زياد بن عبدالعزيز بن عبداللطيف بن عمر آل الشيخ

وصية مُفَرِّطٍ لكم يا طلبة العلم لئلاً تفرِّطوا

يا طلبة العلم والله إني لكم ناصح ولكم محب وعليكم مشفق، فاتني خير كثير، فأسمعوا مني لئلا يفوتكم ما فاتني: [أدركوا من بقي من أهل العلم وبخاصة كبار مشائخ العلم ولو بالسفر لهم، فذلك معدودٌ من الرحلة في طلب العلم، وهي سُنَّة معروفة بل مألوفة عند أهل العلم وقد صنَّف الإمام الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- فيها مصنفاً مستقلاً، سمّاه (الرحلة في طلب الحديث)، يا طلبة العلم: كبار العلماء غنيمة عظيمة، ترددوا على مجالسهم واستفيدوا من مجالستهم، واجعلوا لهم نصيباً من دعائكم، فو الله إنَّ فضلهم ومعروفهم علينا لا يُجزَى بالمال ولا بالمتاع، ياطلبة العلم، إياكم والتفريط في كبار العلماء، والله صدقاً لا تصنُّعاً إني أعض أصابع الندم على ما فرّطت فيما يتعلق بعدم لزوم كبار المشائخ وعدم كثرة زيارتهم، ومما زادني أسفاً أنني قد عزمت على زيارة بعضهم والسفر إلى بعضهم لكن مع ضعف الهمة والتسويف وتقادم الأيام مات بعضهم وغلب المرض على بعضهم، ولا أكتمكم حديثاً أنني كل ما قرأت كلام الخطيب البغدادي في كتابه الرحلة ازددتُ ألماً وعتباً على نفسي وأملاً وحثّاً لمن يأخذ بنصحي.

قال الإمام الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- في كتابه (الرحلة في طلب الحديث) ص١٦٦: (ذِكْرُ من رحل إلى شيخ يبتغي علو إسناده فمات قبل ظفر الطالب منه ببلوغ مراده).

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: (خَرَجْتُ إِلَى الْحَسَنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، فَوَجَدْتُ الْحَسَنَ قَدْ مَاتَ، وَوَجَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ مَرِيضاً، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُودُهُ فَمَكَثَ أَيَّاماً، ثُمَّ مَاتَ).

قال حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: (قَدِمْتُ مَكَّةَ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ حَيٌّ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِذَا أَنَا أَفْطَرْتُ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَاتَ فِي رَمَضَانَ)، قال عَلِيُّ بْنَ عَاصِمٍ: (خَرَجْتُ

مِنْ وَاسِط إِلَى الْكُوفَةِ أَنَا وَهُشَيْمٌ لِنَلْقَى مَنْصُوراً، فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ وَاسِطٍ، سِرْتُ فَرَاسِخَ لَقِيَنِي إِمَّا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَإِمَّا غَيْرُهُ فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَسْعَى فِي دَيْنٍ عَلَيَّ، قَالَ: فَقُلْتُ: ارْجِعْ مَعِي، فَإِنَّ عِنْدِي أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أُعْطِيكَ مِنْهَا أَلْفَيْنِ، فَرَجَعْتُ فَأَعْطَيْتُهُ أَلْفَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَدَخَلَ هُشَيْمٌ الْكُوفَةَ بِالْغَدَاةِ، وَدَخَلْتُهَا بِالْعَشِيِّ، فَذَهَبَ هُشَيْمٌ، فَسَمِعَ مِنَ مَنْصُورٍ أَرْبَعِينَ حَدِيثاً، وَدَخَلْتُ أَنَا الْحَمَّامَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ مَضَيْتُ فَأَتَيْتُ بَابَ مَنْصُورٍ، فَإِذَا جَنَازَةٌ فَقُلْتُ: مَا هَذه؟ قَالُوا: جَنَازَةَ مَنْصُورٍ، فَقَعَدْتُ أَبْكِي).

قال ابن وهب: (دخلت المسجد فإذا الناس مزدحمون على ابن سمعان وإذا هشام بن عروة جالس، فقلت: أسمع من هذا وأصير إليه فلما فرغت قام فأتيت منزله فقالوا: هو راقد فقلت: أحج وأرجع فرجعت وقد مات).

قال عبد الله بن داود الخريبي: (كان سبب دخولي البصرة لأن ألقى ابن عون، فلما صرت إلى قناطر بني دارا تلقاني نعي ابن عون فدخلني ما الله به عليم).

قال فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين ﷾: (كم تأسَّفنا على موت مشايخنا وعلمائنا لفوات ما عندهم من العلم وكان بعضهم في الحجاز وبعضهم في غير الحجاز كنا متفرغين فلم نستفد ولم نرحل إليهم وقد سمعنا بعض الأصحاب يقولون كم تأسفنا على فوات حلقات الشيخ فلان والشيخ فلان عندما كان يُدَرِّس).

وأقول كما قال شيخي عبدالله ﷾: (كم تأسفتُ على موت مشايخ وعلماء لفوات ماعندهم من العلم وكان بعضهم في الحجاز وبعضهم في غير الحجاز وقد كنتُ متفرِّغاً فلم أستفد ولم أرحل إليهم، وقد سمعتُ بعض الأصحاب يقولون: كم تأسفنا على فوات حلقات الشيخ فلان والشيخ فلان عندما كان يدرِّس).

خـاتمة

تمت الترجمة يوم السبت ١٠/ ٥/ ١٤٤٧هـ في دولة الكويت، ضاحية مبارك العبدالله (غرب مشرف) في منزل وضيافة الأستاذ الكريم/ براك بن عبدالمحسن الحسيني -حفظه الله تعالى-، وقد قام الأستاذ براك بجهد مشكور في صف الكتاب ومع إتمام كل ما أطلب منه من تعديل وزيادة أو نقصان والشكر موصول لابنه صاحب الأخلاق الحسنة عبدالمحسن بن براك الحسيني، ومما يذكر فيُشكر أيضاً ما قام به الشيخ الكريم/ عبدالعزيز بن عبد الكريم الدخيّل من جهد مشكور في الصف والترتيب والتصحيح النهائي للكتاب، جعله الله تعالى مباركاً أينما كان.

تم الفراغ من المراجعة والتصحيح للكتاب في القاهرة ٧/ ٧/ ١٤٤٧هـ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

خطيب عرفة

أحسب أن هذا اللقب أو الوصف ينطبق على سماحته إنطباقاً تاماً وهو أهل له وجدير به فبينه وبين منبر عرفه وشائج قربى علمية وصلة رحم وعظية، يؤكد ذلك ويوضحه أمور:

- **الأول**: مما أكرم الله تعالى به سماحته: أمرٌ تفرَّد به عن جميع من سبق من المسلمين عموماً وعن خطباء عرفة خصوصاً، وأعني بذلك منبر عرفة فقد ارتقى سماحته منبر عرفة خمساً وثلاثين سنة (٣٥) ولم يحصل هذا لأحد قبله -حسب علمي- وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وقد ابتدأ في في عرفة ١٤٠٢هـ إلى عام ١٤٣٦هـ.
- **الثاني**: ارتباط خطبة عرفة باسمه وشخصه في نفوس الناس مع محبة الناس لخطبته واعتيادهم على سماعها في كل حج.
- **الثالث**: مع كثرة من خطب بعده على ذلك المنبر إلا أن نبرات صوته كانت ولا زالت تحِنُّ إليها النفوس والآذان.
- **الرابع**: تميز خطبة بتعظيم التوحيد والدعوة له والدفاع عنه مع عنايته الفائقة المشفقة على مجتمعات المسلمين وترغيبهم فيما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم مع الدعاء للمسلمين ولولاة أمورهم عموماً ولولاة الأمر في بلادنا والقائمين على الحج خصوصاً.
- **الخامس**: ومما ينبغي ذكره هنا أن ارتباط سماحته بخطبة عرفة ومنبر نمرة ليس مألوفاً عندنا في المملكة فحسب بل أصبح ذلك التزاماً معروفاً مشهوراً في العالم الإسلامي تعوّد عليه المسلمون وأصبحوا ينتظرون شخصه وخطبته.